

هدية الكروان

عباس محمود العقاد



هدية الكروان

هدية الكروان

تأليف

عباس محمود العقاد



هنداوي

رقم إيداع ٢٠١٣/٢١٧١١

تدمك: ٣ ٥٥٥ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	مقدمة في اسم الديوان
١١	الكروانيات
٢٥	غزل ومناجاة
٦٣	صفات وتأملات
٧١	متفرقات
٧٥	هجاء
٧٧	رثاء
٨١	تذييل في اسم الديوان

مقدمة في اسم الديوان

كان الربيع وتلاه الصيف، وكانت لياليهما السواحر الحسان، وكان هتاف الكروان الذي لا ينقطع من الربيع إلى الخريف، ولا يزال يتردد حتى يُسكته الشتاء. وأكثر ما يسمعه السامع في حوافي مصر الجديدة حيث أُسْكُنُ وحيث يَكثُرُ هذا الطائر الغريب؛ لأنه يألف أطراف الصحاري على مقربة من الزرع والماء، كأنه صاحب صومعة من تلك الصومعات التي كان يسكنها الزهاد بين الصحراء والنيل؛ فله من مصر الجديدة مرتاد محبوب. ولي بالكروان ألفة من قديم الأيام، نظمت فيه القصيدة النونية التي أقول في مطلعها:

هل يسمعون سوى صدى الكروان صوتًا يرفرف في الهزيع الثاني

وأودعتها الجزء الأول من الديوان.

ثم أعادني طائف من طوائف النفس إلى النظم فيه، فاجتمعتُ عندي قصائدُ عدةٌ في مناجاته. وكأنني كنت أعارضه وأساجله بكثير من القصائد الأخرى التي اشتملت عليها هذه المجموعة، فصَحَّ على هذا المعنى أن يُسمى الديوان كله «هدية الكروان». ولوصف الكروان وشرح طباعه ومشاربه مقام آخر غير هذا المقام؛ فأما غناؤه فقد تقال فيه كلمة هنا؛ لأننا نتكلم عمَّا فيه من شعر يوحى الشعرَ، فليس أصلح لهذا الكلام من صدر ديوان.

تسمعه الفينة بعد الفينة في جنح الليل الساكن النائم البعيد القرار، فيشبهه لك الزاهد المتهجَّد الذي يرفع صوته بالتسبيح والابتهال فترةً بعد فترةٍ، ويشبهه لك الحارس الساهر الذي يتعهد الليل بالرعاية بين لحظة ولحظة، وينطلق بالغناء في مفاجأة منتظرة أو انتظارٍ مفاجئ، فلا تدري، أهى صيحة جذل أم هي صيحة روعة وإجفال؟ ولكنك

تشعر بالجدل والروعة والإجفال تتقارب، وتتمازج في نفسك حتى لا تتفرق، كأنك تُصغي إلى طفل يرتاع وهو جدلان، ويجذل وهو مرتاع! ويطلب الخطر ويشتهيهِ؛ لأن للخطر في حسّه طرافةً وحركةً، فهو من عالم التفاؤل والإقبال لا من عالم التشاؤم والنكوص.

ويطلع عليك بهتافه من هنا ومن هناك، وعن اليمين وعن الشمال، وعلى الأرض وفوق الذرى، فيُخَيِّلُ إليك أنك تستمع إلى روح هائم لا يقيده المكان ولا يعرف المسافة، أطلقوه في الدنيا على حين غرة، فسحرتَه فتنة الدنيا وخببته محاسن الليل، فهو لا يعرف القرار ولا يصبر في مطار. فأنت تتلقّى من صوت هذا الطائر الأليف النافر عالماً من معانٍ وأشجان يتجاوب فيه تقديس المصلي القانت، وحذب الحارس الأمين، وروح الطفولة، ومناجاة الخطر المقبول، وهيام الروح المنهوم بالحياة والجمال؛ عالم لا نظير له فيما نسمع من غناء الطير بهذه الديار.

ومن العجيب أنك لا تقرأ صدًى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون، على كثرة ما يُسمع الكروان في أجوائنا المصرية من شمال وجنوب!

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهاها على قلة ما تُسمع في هذه الأجواء!

فكأنما العامة عندنا أصدق شعوراً من الشعراء؛ لأنهم يُلقَّبون المُغَنِّي بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون.

وليس عن تعصب مناً للوطن نُوْثِر الكروان على البلبل وما إليه؛ لأنَّ التعصب الوطني على هذه الصورة حماقة لا معنى لها في الشعر والشعور، ولكننا نُؤثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق. أمَّا الإعجاب بالطير الذي لا نسمعه، فذاك محاكاة منقولة تصدر من الورق البالي وتؤذي النفس كما يؤذيها كلُّ تصنُّع لا حقيقة فيه، وأخفُّ موقع له في نفوسنا أن يضحكها ويغريها بالسخرية، كذلك الأصمُّ الذي أراد أن يخفي صممه في مجلس الغناء، فأوصى صاحبه أن يغمزه كلما وجب الصياح والاستحسان، فلما نام وراحوا يوقظونه آخر الليل قام يصيح ويستحسن ولا سماع هناك ولا سامعين! وإذا لم يشعر الشاعر بتغريد الطير على اختلافه، فبماذا عساه يشعر؟! إن الطير المغرد هو الشعر كله؛ لأنه هو الطلاقة والربيع والطرب والعلو والتعبير والموسيقية. فمن لم يأنس به لم يأنس بما في هذه الدنيا من طبيعة شاعرة، ولم يختلج له ضمير بما في الحياة من فرح وجيشان وتعبير.

والطير بعدُ هو حجة الطبيعة لشعر الإنسان وغناء الإنسان، فهو عند الشاعر وثيقةٌ لا يُعرض عنها ولا يُفلتها من يديه، فإذا قال الجفاة الجامدون: إن الشعر لغوٌ في الحياة، قال الشاعر: إن التعبير الموسيقيّ عنصر من عناصر الطبيعة، وإنَّ الطير يغني ويهتف، وإنَّ الطير يفرغ للغناء وحده إذا شبع وأمن، كأنَّ الغناء والتعبير عن الشعور هما غاية الحياة القصوى، لا ينساها الحيُّ إلا لعائق يشغله ويغضُّ من حياته.

والجفاة الجامدون يقولون كثيراً عن الشعر في الزمن الأخير، يقولونه على الرغم من هذا الشعر الذي تفيض به الطبائع الحية، ولا سيما الأحياء المغرّدة الطائرة، ويقولونه على الرغم من ملازمة الشعر لكلِّ أمةٍ ولكلِّ قبيلةٍ ولكلِّ لغةٍ، فلو كان شيئاً عارضاً في الحياة الإنسانية لما وُجد حيث توجد الحياة الإنسانية، ولو كانت الموسيقى نافلةً في الدنيا لما وُجدت في أمةٍ الطير، وإذا وُجدت في لسان الطائر فلماذا تحرم على لسان الإنسان؟ ولماذا يكون الكلام الإنساني وحده بمعزل عن الأوزان والأشجان؟

فبين الطائر المغرّد والشاعر الشادي محالفةٌ طبيعيةٌ لا تحنث فيها الطير، ولا تُقصّر في إسداء حصتها الخالدة، والشعر مهما أسلف من ثناء على الطير وتمجيد للتغريد لن يوفي كلَّ دَيْنه، ولن يستنفد كلَّ حصته، فلتكن «هدية الكروان» بعض الهدايا التي يتّصل بها السبب بين عالم الطير وعالم الشعراء.

عباس محمود العقاد

الكروانيات

هتفات الكِرْوَان^١ بالليل تترى
وجمال الحياة حبًّا وحسنًا
بِتُّ أصغي لها، وأقبس منها
ومعاني الربيع نورًا وعطرا
وشبابًا يفيض عطفًا وبِشرا
ثم ترجمتها لمن شاء شعرا

الكروان المجدد

قبل عشرين سنةً نَظَمَ صاحب الديوان قصيدة «الكروان»، وفيها هذه الأبيات:

هل يسمعون سوى صدى الكروان
من كلِّ سارٍ في الظلام كأنَّه
يدعو إذا ما الليل أطبق فوقه
ما ضرَّ مَنْ غنَّى بمثل غنائه
إنَّ المزايا في الحياة كثيرة
صوتًا يرفرف في الهزيع الثاني؟
بعضُ الظلام، تُضِلُّه العينانِ
موجُ الدياجر، دعوة الغرقانِ
أَنْ ليس يبطش بِطشة العقبانِ
الخوف فيها والسَّطا سيان

* * *

يا مُحَيِّي الليل البهيم تهجُّداً
والطير آوية إلى الأوكان

^١ جمع كِرْوَان بفتح الكاف والراء.

يحدو الكواكب وهو أخفى موضعاً
قلْ يا شبيهة النابغين إذا دُعوا
كم صيحة لك في الظلام كأنها
هُنَّ اللغات ولا لغات سوى التي
إنْ لم تقيِّدْها الحروفُ فإنَّها
أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى
من نابغ في غمرة النسيان
والجهل يضرب حولهم بجران
دقات صدر للدُّجْنَة حان
رُفعت بهن عقيرة الوجدان
كالوحي ناطقةً بكلِّ لسان
بث الحزين وفرحة الجذلان

وفي هذا العام نَظَمَ صاحب الديوان القصيدة التالية؛ ليقول فيها: إنَّ ما سمعه من الكروان أولاً غير ما سمعه آخرًا، وإنَّ الكروان يجدد معانيه لسامعيه فترة بعد فترة على خلاف ما يسبق إلى الظن بلغة الطير.
وهذه هي القصيدة:

زعموك غير مجدِّد الألحان
قد غيَّرتك، وما تُغيِّرُ شاعرًا
أسمعتني بالأمس ما لا عهد لي
ورويت لي بالأمس ما لم تروِه
ظلموك، بل جهلوك، يا كرواني
عشرون عامًا في طراز بيان
بسماعه في غابر الألحان
من نغمة وفصاحة ومعان

شكواي منك، وإن شكرتك، إنه
شكري إليك، وإن شكوتك، إنه
كنز يسان فهاتٍ من حباته
سرُّ تصوُّر به على الكتمان
سرُّ تؤخِّره لخير أوان
نخر القلوب وحلية الأذان

أنا لا أراك؟! وطالما طرق النُّهى
أنا في جناحك حيث غاب مع الدجى
أنا في لسانك حيث أطلقه الهوى
أنا في ضميرك حيث باح فما أرى
أنا منك في القلب الصغير، مساجلُ
أنا منك في العين التي تهبُّ الكرى
وحي، ولم تظفر به عينان
وإن استقر على الثرى جثماني
مرحًا، وإن غلب السرور لساني
سرًّا يغيبه ضمير زماني
خفق الربيع بذلك الخفقان
وتَضَنُّ بالصحوات والأشجان

طرُ في الظلام بمهجة لو صافحتُ
تغنّيك عن ريش الجناح وعزمه
فرحات دنيا لا يُكدر صفوها
حجر الوهاد لهم بالطيران
فرحات منطلق الهوى نشوان
بالمين غير سرائر الإنسان

* * *

علّمتني بالأمس سرّك كلّهُ؛
سرّ السعادة نفرة ومحبة
الكون أنتم في صميم نظامه
أنتم سواء كالصديق وبينكم
لا يحمل الطيار وزر العاني
لا عالم منكم ولا متعلّم
متشابهين على الحياة فكلكم
متفرقين على المُقام ودأبكم
وكأنّما نُسخت لكلّ نسخة
فهو الشريك على نصيب واحد
ذخر الطبيعة منه تُعطون الحجي
سرّ السعادة في الوجود الفاني
فيكم تُؤلّف نافر الأوزان
وكأنكم فيه الطريد الجاني
بعد كما يتباعد الخصمان
حمل ابن آدم عثرة الإخوان
كلا! ولا متقدّم أو وان
ساري ظلام، هاتف بأغان
عند الرحيل تجمع القطان
من هذه الأجواء والأوطان
وهو الوحيد فما له من ثان
لا من سباق بينكم ورهان

* * *

أنتم بني الطير المسبّح في الدجى
بعتم كرى الغافي وطيب رقاده
قل ما اشتهيت القول يا كرواني
سأعيش مثلك لي وللدنيا معاً
وأظّلُ تزدهم الحياة بمهجتي
في عزلة أنا والحبيب تؤمّنا
فيكم كهانة صالح الكهان
وبه اشتريتم يقظة اليقظان
في لهو ثرثار وحلم رزان
وأقول مثلك: كيف يزدوجان؟
أبدًا ويجتنب الزحام مكاني
دنيا الجمال، ونحن منفردان

الليل يا كروان

الليلَ يا كروان	بشارك طاب الأوان
بشارك؟ بل أنت بشرى	تهفو لها الآذان
سهران في الليل شاد	فكلُّنا سهران
وإن تكن أنت حلماً	فكلنا وسنان
وسنان لم يسهُ قلبٌ	له ولا أجفان
النوم في الصيف وزرٌ	وفي الهوى كفران

* * *

الليلَ يا كروان	ما أنت والنسيان
حاشاك ما أنت ساهٍ	عنه، ولا كسلان
الليل ذكرى وأنت الـ	مذكّر اليقظان
لكنما أنت روحٌ	وهل لروح مكان؟
بيننا يقال قريب	كأنه الوجدان
إذا به في صداه	كأنه كيوان ^٢
إن كان في السمع طيف	فأنت يا كروان
صوت ولا جثمان	لحن ولا عيدان
كأنه هاتف في	فضائه حيران
أو رجع صوت قديم	يعيده الحسابان

* * *

الليلَ يا كروان	فأين منك البيان؟
ليل الطبيعة صمتٌ	وأنت فيه لسان
وظلمة الليل سرٌّ	فاقرأه يا ترجمان
ما في الظلام ظلام الحـ	ياة لو يُستبان

^٢ النجم عطارد، وهو إله الغناء والفنون في عرف الأقدمين.

إلا صياح اشتياق تروضه ألحان
نصف الحياة اضطراب ونصفها أوزان^٢

* * *

الليل والصيف والحب	كلهن أوان
وأنت منهن طرّاً	على وعود تصان
خذ صمتهنّ وصغه	شدوا له سريان
غُصّ في قرار الدياجي	فللدجى شطآن
واستقبل النجم علواً	إن النجوم حسان
وخذ من الصيف ناراً	لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دوراً	دارت له الأكوان
في الأرض بيتك ثاوٍ	وفي السماء افتنان
وبين ذلك ملهى	للحب، بل ميدان
واللهو في الحب، فاعلم	كالهرب يا كروان
عليك من ذا ومن ذا	يا ابن الليالي أمان
شادي الغرام له من	سكر الغرام ضمان
الليل يا كروان	والعالم الغفلان
ونسمة الصيف تسري	وفي يديك العنان
والصبح أول مرسى	يرتاده الركبان
ألا تَزاوَرْ عنه	في الرحلة الربان؟!
وما ارتضاه ولكنّ	ما الزمان زمان
فاملاً من الليل نفساً	عزيزة لا تهان
لا هتفة فيه تبقى	إلى غدٍ أو أذان
الليل يا كروان!	الصبح يا كروان!

^٢ الحياة مضطرب غرائز وأشواق ودوافع، والفنون تروض هذا الاضطراب وتعالجه بالتنظيم، فنصف الحياة فوزى ونصفها وزن، والشعور الفني هو الحياة الكاملة.

^٤ تزاور: انحرف وأعرض.

سؤال الكروان

هتافك في الدجى يا ابن الليالي؟
تعاف النوم أم من سوء حال؟
أو أنك كارهٌ للصباح قال؟
فما لك في النعيم بلا مثال؟
أو أنك أنت وحدك في ضلال؟!
تنزّه عن نشوز وابتذال؟
حذار البأس أو حب الجمال
ومن يقظات نفس فيك نشوى
وعندك للنجوم هوى قديم
وهذا الطير ينعم في ضحاه
أضلّ الطيرُ — ويحك — عن هداه
وأين من الضلال هتاف حر

* * *

وقالوا: ما شدا الكروان إلّا
وقالوا: تسرق الأعشاش عمدًا
وإنك بالتراب شبيهه حال
سألتُ، وما أرى لك من جواب
سأسمع منك أنغامَ الليالي
ولا آلك إصغاءً ووصفًا
أبا الكروان — يا مظلوم — تدعى
بحسبك أنهم كذبوا جهراً
وأنك مفردٌ في الطير لحناً
إذا شابقتها في النقص حيناً
ليسأل عرسه قوت العيال
على كسلٍ وضعف في الخصال
وبالديدان منهومٌ مغالٍ
سوى اللحن الشجيّ على سؤالي
وأسمع عنك أشتات المقال
كلا الأمرين من همّي وبالي
وأنت عن الكرى المحبوب سأل؟!
وأنك صادق الهتافات عالٍ
وما استفردت في تلك الخلال
فأين المشبهاتك في الكمال؟

غنّ يا كروان

قم غنّ يا كروان غنّ
وأمنّ دجاك وإن عرفت
فيمّ المخافة يا سميـ
لا أنت جزل في الصحا
كلا ولا في خافقيـ
وتمنّ في الدنيا ومنيّ
تُك في الحياة قليل أمن
ر الليل أو فيمّ التجني؟
ف ولست في قفص تغني
لك الحائلين بريق حسن

والصقر نام وأنت وحـ دك تمدح الدنيا وتثني
لك كل ما دون الكوا كب من سماك الليل مبني
فَأَمَّنْ زمانك أو فحف فالطبع دون الرأي يغني
إنني إخالك لو أمدـ ست لما هتفت لنا بلحن

ما أحبُّ الكروان!

ما أحبُّ الكروان!
هل سمعت الكروان؟

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا
حيث كانت جيرة أو حيث كنا
هاتفٌ يهتف بالأسماع وهنا^٥
هو ذاك الكروان، هو هذا الكروان!

الكرابين كثيرٌ أو قليل
عندنا أو عندكم بين النخيل
نَمَّ صوتٌ عابرٌ كلَّ سبيل
هو صوت الكروان، في سبيل الكروان

لي صدى منه فلا تنسَ صداك
هو شاديك بلا ريبٍ هناك
فإذا ما عسعس الليل دعاك

^٥ الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه.

هدية الكروان

ذاك داعي الكروان، هل أجبت الكروان؟

مفرّدٌ لكنه يؤنسنا
ساهرٌ لكنه ينعسنا
صدحت في نفسه أنفسنا
فتسامعنا سواء، وسمعنا الكروان!

واحدٌ أو مائة ترجعه
عندنا أو عندكم مطلعته
ذاك شيءٌ واحد نسمعه
في أوان وبيان، هو صوت الكروان

واحدٌ بين عصور وعصور
نحن نستحيي به تلك الدهور
لم يفتنا غابر الدنيا الغرور
في أوان الكروان، ما أحبّ الكروان!

على الجناح الصاعد

يا أرضُ أصغي، يا كواكبُ شاهدي!	حادي الظلام على جناح صاعدٍ
نُصُّوا المسامع للأئيس الواجد	يا آنسين بصحبة من وجدهم
ردوا التحية للفريد الساهد	يا ساهدين على انفراد في الدجي
منها نجِّي مغاور وفراقد	المستعزّ بعمرسه وكأنه
بالليل حنجرة المغني الخالد	لهجت طيورٌ بالضحي وتكفّلت
أبدًا، وما هو آمن لمساعد	يحدو ويشدو لا مساعد حوله
لك أنت يا كروان، فأمن صائدي	أنا صائدٌ لصدك، لست بصائد

بيننا أقول: هنا، إذا بك من هنا
وددت يا كروان لو أَلْقَيْتَ لي
إن كنت تشفق أن أراك فلا تَزَلْ
عاهدت هذا الصيف لستُ بواهبٍ
من كان قد أغنى الطبيعة كلها
في جنح هذا الليل أبعد باعد
صوتين منك على مكان واحد
في مسمعي وخواطري وقصائدي
سمعي سواك، فهل تراك معاهدي؟!
مُغْنِيٍّ عن شاذٍ سواه وشائدٍ

ألف صدى

ألف صدى لهاتف
أم ألف شاذٍ رَدَّدت
أم ذاك روح أطلقو
فَرَادَها مستغربًا
فلا يقال مقبلٌ
هنَّ كراوين الليا
لا نقصَ إن قلَّت ولا
باركها من بارك الخلـ
منفرد على الذرى؟
هتافها مكررا؟
ه في الدُّنى محيِّرا
وطافها مستبشرا
حتى يقال أدبرا؟
لي أو فقل هو الكرا^٦
مزيد في أن تكثرا
د وما قد أثمرنا

شدو الأمن الخائف

يا صاحب الليل غام الليل أو سفرا
ما أنت بالليل مفتونًا، ولا كلفًا
وإنما أنت مفتون بعزلته
وبالحبيب الذي يدعوك مرتفعًا
إذا شدوت فما أدري، أذو كلفٍ
ولفَّ ظلماءه أو أطلع القمرنا
بالنجم، أو بظلام الليل حين سرى
وبالأمان الذي تلقاه مستترا
في ساحة الليل، أو يدعوك منحدرًا
ناغى الهوى أم نذير فاجأ الخطرا؟

^٦ الكرا: ذكر الكروان.

سيان يا كرواني القلبُ مستعرًا
إن كان شذوك أَمْنًا فاشدُ في دعةٍ
بالشوق أو بضرام الخوف مستعرا
أو لا، فلا زلتَ مذعور السرى حذرا!

لمن الفضل؟

كروان الليل رتلٌ للهوى
هو أغراك بشدوٍ وثنى
لك إلفٌ من تستوحي، ولي
أنتَ لولا نفحةٌ من حبه
صامت الفن، أذا الفن، وإن
غار جبِّي منك فاسمع إنني
وله الفضل ومنه الوحي لا
آية الحمد ... وحمد الفطن
لك سمع العاشق المفتتن
أنا إلفٌ وحيُّه ينطقني
ساكنٌ عندي، وإن لم تسكن
صدحت أَلحانه في أذني
عنه أروي كل شيء حسن
منك في كل مقال بيّن

ألحقنا المقطوعات الآتية بهذا الباب؛ لأنها تشبهه وتتصل ببعض أبياته:

القَمَارِيُّ العارفة

ملأتُ داري القَمَارِيُّ غناء
عرفت عندي ربيعًا بعد ما
عرفتني العام، أم كانت هنا
لم أكن أحفلها حتى إذا
ويحها! هل يكشف الطير الغطاء؟
رَهَبْتُ من ظلمة الدار الشتاء
كلَّ عام تمنح الدار الولاء؟
صدق الحب تسمَّعتُ الغناء!

ببغاء^٧

ببغاءٌ ترنمتُ بمديح البلابل

^٧ الببغاء تحكي ما تسمع دون أن تعقل، وكذلك يكون الشاعر الذي يتغنى بالبلبل على المحاكاة والتقليد دون أن يسمعه، فهو في مصر نادر لا يزورها إلا في رحلة عاجلة.

أين منا بلابلٌ	مسرعات المراحل
في سماوات موطن	ليس منها بأهل
بالكراوين عامر	والقماري حافل
ناج ما أنت سامع	يا أسير الأوائل
اسلُ عن عاجل بذى	صحة غير عاجل
ما اشتغالٌ بمورد	لست منه بناهل
وانصراف عن الذي	أنت منه بساحل
أنت عندي بذا وذا	جاهلٌ أيُّ جاهل
ناقلٌ لهفة الصدى ^٨	أو شبيهة بناقل
في الكراوين غنية	عن نشيد البلابل
والقماري ما لها؟	أصغِ واسمع، وسائل
إن تعداك قولها	فالتمس وصف قائل

شدو لا نوح

شدو القماري لا نوح القماري	هل يعبر الحزن بالشادي الصباحي؟
أو الربيعي في أنس وفي أمل	وفي غرام على الإلفين مطوي؟
يا حسنهما من بشيرات على دعة	كأنها أمنت فوت الأماني
محببات إلى الإنسان تألفه	وتعتلي من ذراه كل علوي
تهوى الديار، وفي الآفاق مطلعها	ما بالها؟ هل سباهها حسن إنسي؟
وللأناسي حسن لا أبوح به!	هل تعرف الطير ما حسن الأناسي؟
غنّت لزهر وسلسال ولو رشفت	زهر المباسم جنت بالأغاني
أولى لقمرينا ألا يحوم على	يأس الهوى بين إنسي و«طيري»
غرد على الدور يا قمري في دعة	واسلم هنالك من باكٍ ومبكي

^٨ الظمأ.

واتلُ الرجاء على هذا وذاك، ولا تسألهما عن جوى في القلب مخفي
حسب المغاني التي يبكي الحزين بها من سلوة، أن فيها شدو قمري

شفاعة للغراب

حيّ الغرابُ الفجر بالنعيب تحية التهليل والترحيب
وافترّ نور الفجر كالمجيب في غير ما لوم ولا تثريب
لهاتف ناداه من قريب

* * *

ما ذنب ذاك الناعب المسكين ألا يحيي النور باليقين؟
تحية العصفور والشاهين ألا تدين كلها بدين؟
فما له يُعذل كالرقيب؟!

* * *

شفاعة الأنوار والأحباب في الأسود المهجور في الخراب
ما الصيدح الهاتف بالعجاب أصدق حباً لك من غراب
فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسمعه والطير في أوان وقبله الصبح، وقد ناجاني
صوت حبيبي بادي الحنان لذلك الموعود بالحرمان
وما له في الحسن من نصيب!

* * *

أمنتُ منه لوعة الفراق وكلّ غاقٍ عنده وقاق
فلا يزل ينعم بالإشفاق من الرياض الفيح والآفاق
ومنك يا فجر، ومن حبيبي

عادات الغراب

بئس الغراب وإن ذكرتُ بصوته
أبدًا يقاطع كلَّ شأٍ حوله
فإذا شدا الكروان أتبع شدوه
وإذا ترنَّمتِ القَمَارِيُّ انبرى
حسدًا ولؤمًا، أو غرورًا لم يزل
لا عاد فرع كان ينبع فوقه
عطف الحبيب عليه كلَّ صباح
كمعطلي الإنشاد في الأفراح
بصياح شؤمٍ منه أو بنواح
ما بين تنُّعابٍ وخفق جناح
دأب الحسود وديدن الملحاح
فرمته فأُس الحاطب المجتاح

نعب على عشه

هَدَّمُوا دَارَ الْغَرَابِ
قَطَّعُوا الدُّوْحَةَ قِطْعًا
ليت شعري من هُنَا النَّا
لستَ بالمأمون فاذهب
أنتَ أذنتَ بخوفٍ
لم تُصنْ عهدًا لمن حا
لحبيبٍ بات يرثى
فامضِ في غير وداع
وخذ الغربان طرًّا
من ذوات العش في النفـ
رُبِّ شكٍ هو في الأنفـ
وابتَلَّوه بالخرابِ
ورمَّوها في الترابِ
عب يا رب النُّعَابِ
غير مبكيٍّ الذهابِ
في هوانا وارتيابِ
طك بالعطف العجَابِ
لك من سخر الصحابِ
وانأً في غير اقترابِ
مؤنسات في الركابِ
س وفي هذي الرحابِ
س شرٌّ من غراب!

سحر الطير

كل إلفٍ له من الطير إلفُ
أملٌ يُرتقى، وحبٌّ يُناجى
هكذا تجمل الحياة وتصفو
ولسان يشدو، وقلب يرفُ

بك خَفَّ الجناح يا أيها الطـ	ير، وما كنت بالجناح تخفُّ
لطف روح أعار جنبك ريشًا	فمن الروح لا من الريش لطفُ
ليس ينميك للسماء جناح	بل غناء عن الضياء يشفُّ
إن مضى الناس يعجبون قديمًا	كيف تعلو؟ عجتُ كيف تُسَفُّ؟!
ثقلُ في الحياة لم ينجُ طبع	من عراقِها ولم يخلُ عرف

غزل ومناجاة

ارتجال المنى

منّني أطيب المنى يا حبيبي فالمنى وحدهنّ منك نصيبي
إن يفتّنا منالها لم تفتنا نظرة من خيالها المرقوب

* * *

منّني، بل دع المنى يا حبيبي فشقائي في الموعد المكذوب
هان فقد المنى التي لم تعدنا وافتقاد الموعد جدّ صعب

* * *

أعطني! أعطني إذن يا حبيبي غير ما ناكث ولا مستجيب
أعطني صفوك ارتجالاً ودعنا من مطال بالوعد أو تقريب
فارتجال المنى أحبّ لنفس شبت من رويّة التجريب

متى!^١

متى يا عيون يعود الضياء؟ متى يا رياض يعود الربيع؟

^١ إذا سأل الحبيب محبه وهو يودعه: متى يعود إليه؟ فذاك سؤال غريب كالأسئلة الغريبة التي تتردد في هذه القصيدة.

هدية الكروان

متى تأمرين؟ متى تأذنين؟ متى تقبلين دعاء الشفيح؟

* * *

متى يرجع الغائب المرتجى إلى صدر أمِّ براها السقام؟
متى يهبط النوم تحت الدجى لعينيك يا ساهراً لا ينام؟

* * *

متى يطلع النجم للتأهين؟ وقد غرقوا في ليالي الخطوب
متى يجمع الشط تلك السفين؟ وقد عاث فيها الخضم الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما ء في الماء يطفئ حر الصدى؟
وفي الزاد يبقى ذماء الحيا ء، وفي الخمر يعلو بها مُصعدا؟

* * *

متى؟ إي وربك قل لي: متى؟! وسلهم عن اليوم والموعِد
فقد يُقبل الزائر المرتجى ولا من مُلاقٍ له في غد؟!

* * *

إليك مثال السؤال العجيب وأنت بأحلى مثال تجود
عشية تبسم عند الوداع وتسأل: في أي يوم أعود!

جمال يتجدد

كلما قلتَ لي: الربيع جميل قلت: حقاً. وزاد عندي جمالا
عجباً لي، بل العجبية عندي صور الكون كم يسغن كمالا
خلتني قد وعيتهن عياناً وتتبع من وعوها خيالا
شاعراً عاشقاً وقارئ كُتب قرأ الكتب دارساً، فأطالا
فإذا نظرةً بلحظك تبدي صوراً ما طرقت عندي بالاً

بعدد الأنوار في أعين الحبِّ سِ نَعْدُ الأكوان والأجيالا

النبض

رأوا فما عرفوا، كلا ولا عجبوا
كأنما أنا من أمسي ومن غده
في مهجتي أمل فاضت بشائره
فلو تشيم ضياء القلب أعينهم
كالفجر تسري على مهل طلائعه
الحمد لله! لا شاموا ولا نظروا
لو أبصروا الموعد الموموق مقترباً
وهبَّ للشر منهم عسكر لجب
يا أيها الناس قرؤوا في مضاجعكم
أسوان مكتئب لا الحسن يفرحني
وهاكم النبض جسوه، أعندكم
كلا وحقكم! لا كان حقكم

ولا دروا بالذي أرجو وأرتقب
لم يختلف قط لي شجو ولا طرب
فما لهم حُجبوا عنه، وما حُجبوا!
لأبصروا فيه عين الشمس تقترب
أو موكب النصر يدنو وهو يصطخب
ولا درى جاهل منهم ولا أرب
لجفَلته إذن من لؤمهم ريب
إن يطلبوه لخير عزَّهم طلب
إني وحقكم أسوان مكتئب!
ولا الحبيب له في فرحتي أرب
تحت الأضالع قلب خافق يثب
إلا اليمين التي يحلو بها الكذب!

اليوم الموعود

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى
شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً
أسرعُ بأجنحة السماء جميعها
ودع الشمس تسير في داراتها
ما ضر دهرك إن تقدم واحد

شوقي إليك، وما أشاق لمغنم؟
من وكره، ويكاد يَطْفِر من دمي
إن لم يطعك جناح هذي الأنجم
وتخطَّها قبل الأوان المبرم
يا يوم من جيش لديه عرمرم

* * *

لي جنة يا يوم أجمع في يدي ما شئتُ من زهر بها متبسم

وأذوق من ثمراتها ما أشتهي
وتطوف من حولي نوافر عُصْمها
وتلذ لي منها الوهاد لذاذتي
لم آس بين كرومها وظلالها
فكأنما هي جنة في طيها
أبدًا يذكرني النعيم بقربها
وأبيت في الفردوس أنعم بالمنى

* * *

يا يوم موعدها ستبلغني المنى
لا غصن رابية تقصر راحتي
سأظل أخطر كالغريب بجنتي
فأبيت ثم إذا احتواني أفقها
فرحى بصبحك حين تشرق شمسها
وتتّم لي الفردوس خير مُتَمِّم
عنه، ولا ثمر يعز على فمي
حتى أثوب على قدومك، فاقدّم!
لم أنّه عن أمل ولم أتندّم
فرح الضياء سرى لطرف مظلم

* * *

أمعيرتي خلد السماء سماحةً
رفقًا بخلدك أن تشوبي صفوه
صونيه عن وله صيانةً مكرم
إن لم تري رفقًا بمهجة مغرم

ضياء على ضياء

على وجنتيه ضياء القمر
جمعتهما أنا في لثمة
فما زال يلحظه جهرةً
ويزعمها قبلةً من أخٍ
نظيران يستبقان النظر
أو البدر قبّله فابتدر؟
ويغمزه من وراء الشجر
ففيّمْ إذن قطفها في حذر؟!

٢ المزعود: المفزع المدفوع.

ولو شئتُ ظللت وجه الحبيب ب ولو شئتُ كللته بالزهر
ولكن كرمتُ فخذُ يا قمر من الزاد ما تشتهي في السفر

* * *

سها الليل عنا وعن بدره وهز الحبيب حنين السهر
فقال، وقد فاض منه الرضى وسرَّ بفيض رضاه وسر:
على مثل هذا تطيب الحيا ة، وفي مثل هذا يروق السمر
فقلت: أجل ما أحبَّ الحيا ة، وأنت شفيع لها مدخر
لأجلك يصفو لها من صفا وباسمك يعذرها من عذر

شعر وشعر

أمن شعر؟ نعم! شعرٌ وشعرٌ وخفقُ في الجوانح لا يقرُّ
فمني الوزنُ في خفقات قلبي ومنك الوحيُّ والحسن الأعزُّ
وتسألني، كأنك لست تدري! وما لي غير ما أوحيت سرُّ
وأحرى بي سؤالك عن قصيدي فما لي فيه — بل لك أنت — أمر:
أننظم في غدٍ أم لاتَ نظم على ما ترتضيه ولاتَ نثر؟
وعن شفتيك لا شفتيَّ أروي عشيّة يلتقي ثغرٌ وثغرٌ
فلقني أجبك ولا تسلني سؤال الشمس: هل سيلوح فجر؟^٣

الثوب الأزرق

الأزرق الساحر بالصفاء
تجربةً في البحر والسماء

^٣ ليس للشمس أن تسألنا: هل يلوح الفجر؟ لأن الفجر يطلع حين تطلع هي، وكذلك الحبيب، لا ينبغي أن يسأل الشاعر: هل ينظم شعرًا؛ لأنه ينظمه بوحيه.

هدية الكروان

جربها «مفصل» الأشياء
لِتَلْبِسِيهِ بَعْدُ فِي الْأَرْيَاءِ
مُجَوِّدَ الْإِتْقَانِ وَالرَّوَاءِ
مَا اِزْدَانِ بِالْأَنْجَمِ وَالضِّيَاءِ
وَلَا بِمَحْضِ الرَّبْدِ الْوَضَاءِ
زَيْنَتِهِ بِالْطَّلْعَةِ الْغُرَاءِ
وَنَضْرَةِ الْخَدَيْنِ وَالسِّمَاءِ
وَلَمْعَةِ الْعَيْنَيْنِ فِي اسْتِحْيَاءِ
إِنْ فَاتَنِي تَقْبِيلُهُ فِي الْمَاءِ
وَفِي جَمَالِ الْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ
فَلِي مِنَ الْأَزْرَقِ ذِي الْبِهَاءِ
يَخْطُرُ فِيهِ زِينَةُ الْأَحْيَاءِ
مُقْبِلٌ مَبْتَسِمُ الْأَضْوَاءِ
مَرْدَدُ الْأَنْغَامِ وَالْأَصْدَاءِ
وَقَبْلَةٌ مِنْهُ عَلَى رِضَاءِ
غَنَى عَنْ الْأَجْوَاءِ وَالْأَرْجَاءِ
وَعَنْ شَأْبِيبٍ مِنَ الدَّأْمَاءِ^٤
وَعَنْكَ يَا دُنْيَا بَلَا اسْتِثْنَاءِ

يوم

نَهَبَ اللَّيْلُ وَدَارَ الْمَلَوَانُ^٥ وَشَدَا قَبْلَ الصَّبَاحِ الْكَرَوَانُ
وَتَحَدَّاهُ الْغُدَافِيُّ^٦ الَّذِي تَبَسَّطَ الرِّفْقَ عَلَيْهِ وَالْحَنَانُ

^٤ الشَّابِّيبُ: أول ما يظهر من الحسن، وشدة اندفاع كل شيء. والدَّأْمَاءُ: البحر.

^٥ الليل والنهار.

^٦ الغراب. راجع ما تقدم.



ومشى الصبح على مهلٍ كمن
وتلمستُ هنا تغريدةً
قُبلة منك هي الفجر، وفي
عن شمالي كلُّما ولَّى دُجى
وترأت نظرة ناعسة
يطرق الدار على غير أمان
في فمي تصدح في هذا الأوان
طيها تبدو ثناياه الحسان
وسرى فجر، وحنّت شفتان
عند أخرى، فتلاقت نظرتان

* * *

بان ليلي! لا تسلني: كيف بان؟
كلُّما يمتُّ داري قلت لي:
فأتيت الدار لا أحسبها
لم أكن أطلبها، ويحي! ولا
أين أمضي؟ أين تحدوني الخطأ؟
راعني نقص بعيني ويدي
خلتني بَدَلت منها غيرها
أنت تدري، فاغفر عيَّ البيان
أجناحان لنا أم قدمان؟!
قربت قطُّ، ودوني خطوتان
أطلب المهرب منها حيث كان
ضاقت الدار، وضاق المشرقان
وفمي الصادي، وقلبي، واللسان
ولو استبدلها الخطب لها

أهزيع منك يا ليل مضى؟ أمضى نصف؟ أما ينشطران؟
بان ليلي! لا تسلمي: كيف بان؟ حاطك الله من الليل وصان
إي وربي بان لكن بعدما نفدت ساعات عمري في ثمان
لا زمانٌ حيثما لاقيتني فإذا فارقتني كان الزمان

* * *

طلع الصبح حزيناً عاطلاً أترأه كان بالقرب يُزان؟
وسرتُ أنفاسه يا حسرتاً! أين أنفاسك يا زين الحسان؟
نسمات الصبح أورت^٧ كبدي فحجبت الأنف عنها والعيان
وتمشيت إلى كتبي على مضض منّي، وللكتب أوان
يا أبا الطيب لا تهرف! ويا صاحبي الروميّ ما هذا الرطان؟!
شعراء الشرق والغرب أما تملكون الصمت يوماً في عنان؟!
أو فهاتوا الشعر لي صرفاً بلا أحرفٍ في الطُّرس منه أو معان
أفرغوه جملةً في خاطري ليس لي بالطُّرس والدرس يدان
ربّ شعرٍ شاقني لمّا تكدّ شفتنا قائله تنفرجان

* * *

وتجلّى الباب لي عن زائر من أودائي كأنا أخوان
فتعلّمت ولبي شارد كيف يُكسى الود ثوب الشنّان^٨
قال لي: «الأفق جميل» قلت: لا بل دميم. قال: زاه. قلت: قان!
قال: زيد. قلت: حاشا. فانتثني نحو عمرو. قلت: كلا، بل فلان!
فمضى يعجب مني سائلاً: أسلام؟ قلت: بل حرب عوان

* * *

ذهب اليوم وما أحلّكه كان من يومٍ نماه النّيران

^٧ أورى الزند: أخرج ناره.

^٨ البغض.

لم يكن في صبحه أو ليله حظ عين، أو لسان، أو جنان
ذاك يومٌ يا حبيبي واحد وغدٌ منه غنيٌّ عن بيان

الحب المثل

كأنِّي مثَّالٌ وحسنك تمثالي عجائبُ حبٍّ ما خطرُن على بالٍ
فما أتمنَّى فيك معنًى أريده من الحسن إلا وافق الحسن آمالي
وأحلام قلبٍ فيك تسري كأنَّها خوالق أيدي الفنِّ في الذهب الغالي
تجول بأشكال الخيال وتنثني وقد أسعدت منك العيانُ بأشكال
إذا ما تمشَّت فيك معنًى لمستها محاسنَ أعطافٍ ورقَّة أوصال
إذا اقترحتُ عيني فأنت مجيبها فهل منك أو مني صياغة تمثالي؟
وما اقترحتُ إلا كما اقترح المنى غنيٌّ على وفر من الوقت والمال^٩
فما فيك من نقصٍ ولكنَّما الهوى نوازع شتى لا تقرُّ على حال
فيا قدرة الحبِّ المبارك أبدعي لكلِّ حبيبٍ في الصبا ألف سربال
وأجمل من صوغ الدُّمى صوغ دميَّة لها زينتها من حياة وإقبال

ساعي البريد

هل تَمَّ من جديد يا ساعي البريد؟

لو لم يكن خطابي في ذلك الوطاب
لم تطوَّ كلَّ باب يا ساعي البريد

^٩ إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأمانى التي لا حاجة به إليها، إنَّما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل في الإنسان.

هدية الكروان

* * *

ما ذلك التنسيقُ والجمع والتفريقُ
والقفز والتعويقُ يا ساعي البريد؟!

* * *

كسوتك الصفراءُ والخطوة العرجاء
يمشي بها الرجاء يا محنة الجليد!

* * *

لو لم تكن جمالا في مشية العجالي
صغنا لك التمثالا من جوهر فريد

* * *

لا أحسب الساعات في حاضر وآت
إلا على الميقات ميقاتك الوئيد

* * *

في شرفتي أبكر غيرك لا أنتظر
وإن سعى لي القمر يا ساعي البريد

* * *

كم لهفة نسيتها أماتني مميتها
لقيتها! لقيتها يا ساعي البريد

* * *

جددت لي انتظاري وقلّة اصطباري
عن طلعة القطار وطلعه النضيد

* * *

غزل ومناجاة

أكرم به من ثمر منتظر مدّخر
في كل يوم مزهر مبتدئ معيد

* * *

يا طائفًا بالدور كالقدر المقدور
بالخير والثبور في ساعة البريد

* * *

في لمحة تنتشر منك المنى والعبر
وأنت ماضٍ تعبر كالكوكب البعيد

* * *

كن أبدًا مريدي بالخبر السعيد
وبابتسام العيد يا ساعي البريد

عجب الساعي

عجب «الساعي» الذي كنتُ له
إنَّ من تُحضر لي أخباره
ألقِ إن شئت وطائبًا حافلًا
الطريق الآن لا أرقبه
ولك الشكر، ولي العذر، فلا
لا تذكّرني نواه بعدما
أبدًا في شرفتي منتظرا
أيها الساعي، بخير حضرا
لا أبالي لحظةً إن صفرا
لأرى وجهك، لكن لأرى ...
تظهر الآن، فها قد ظهرا
كنت تروي عنه ذكرًا عطرا

الليلة الفطيم

بكت الليلة الفطيم شجاها
الثدي الحسن تبغي رضاها
ما بكاءً الفطيم بين الثدي
ما لثغر الفطيم غير رضي؟

لو أرادت لكان عند مناهها كلُّ صدرٍ، وكلُّ نهْدٍ شهْيٍ
أمها! أمها! وليس سواها ذات صدر على الشفاه ندي

* * *

ليلتي، ليلتي الحزينة صبرًا ليس هذا الفطام بالأبدِي
سوف تُروين من أُمِّمك ثغْرًا فارضعي الآن من دموع الشجي
واذرفي هذه المدامع غزْرًا ... هل يضير البكاء عينَ الصبي؟
من أذاب الشقاء عينيه شهرًا في ارتقاب النعيم غير شقي

قبلة بغير تقبيل

بعد شهر، أنلتقي بعد شهر،
لم يحولوا — وحقهم — بين روحيد
تمَّت القُبلة التي نشتهيها
تمَّ منها شوقٌ، ورفُّ شفاه
بين جيشٍ من النواظر مَجْرٍ؟^{١٠}
عنا، وإن ألزموهما طول صبر
كلُّها، غير ضم ثغر لثغرها
وهوى نيةً، وخفقة صدر

الحلم السالب

سبق الكرى يومَ اللقاء فنلته
حلم على اليقظات جَارَ فليته
لم يظلم اليقظاتِ فهُيَ إذا وفّت
ما وعده إلاَّ سعادة حالم
في غفوةٍ تُغفي العيون لكي ترى
في جوره أبدًا يعود مكررا
بلقائه، سلبته من حلم الكرى
فالنوم كان به أحق وأجدرا

^{١٠} الجيش المجر: العظيم.

والحلم المنتقم

لَمَّا تَمَلَّيْتُ فِي الرُّؤْيَا مُحَاسِنَهُ
هَذَا انْتِقَامَ الْكَرَى مِنْ بَطْءِ مَوْعَدِهِ
يَغَارُ مِنْ طَيْفِهِ السَّارِي فَيَمْتَطِنِي
هَتَفْتُ لِلَّيْلِ وَالظُّلُمَاءِ وَالْحَلَمِ
وَلِلْكَرَى رَبَّةً مَشْكُورَةَ النِّقَمِ
كَأَنَّمَا قَالَ لِي بِالْمَطْلِ: لَا تَنَمِ!

في البعد والقرب

لَنْ يَطِيبَ الْبَعْدُ يَوْمًا لَنْ يَطِيبَا
لَا تَكُنْ نَارًا مِنْ الشُّوقِ وَلَا
لَا تَكُنْ صَحْرَاءَ فِي الْبَعْدِ وَقَدْ
هُنَّ عَلَيَّ الْيَوْمَ إِنْ كُنْتَ حَبِيبَا
دَمْعَةٌ حَرَّى، وَلَا قَلْبًا كَثِيبَا
كُنْتَ لِي فِي الْقَرَبِ بَسْتَانًا رَطِيبَا
قَبْلَ أَنْ تُعْرِضَ عَنِّي أَوْ تَغِيبَا

* * *

يَا حَبِيبِي، بَلْ فَكُنْ مَا كُنْتَ لِي
وَاجْعَلِ الْأُنْسَ نَصِيبِي فَإِذَا
كُنْ نَعِيمًا وَعَذَابًا، وَمُنَى
صَانَكَ اللَّهُ بَعِيدًا وَقَرِيبَا
غَبْتَ عَنِّي فَاجْعَلِ السَّهْدَ نَصِيبَا
تَمَلَّأْ النَّفْسَ، وَحَرَمَانًا مَذِيبَا
لَمْ يَكُنْهُ، لَمْ يَكُنْ قَطُّ حَبِيبَا

قراءة

عَلَى كَتَفِي تَمْشِي بَعِينِكَ فِي الْطَرَسِ
كَأَنَّكَ لَمْ تَحْمَدْ مَدَى الصَّوْتِ وَحَدَهُ
وَعَانَقْتَنِي تَسْتَوْعِبُ الشَّعْرَ حَيْثَمَا
هَنَالِكَ أَدْرِي أَنَّ لِلشَّعْرِ مَجْلَسًا
عَجُولًا إِلَى شَعْرِي حَرِيصًا عَلَى لَمْسِي
فَسَابَقْتَهُ بِالْعَيْنِ حِينًا وَبِالْحَسِّ
سَرَى فِي ثَنِيَّاتِ الْجَوَانِحِ وَالنَّفْسِ
إِلَى جَانِبِ الْعَرْشِ السَّمَائِيِّ وَالْكَرْسِيِّ

تسَلَّم هذه الدنيا كما خَلَّفَتهَا عِنْدِي
وحاسبها على قرب بما تجني على البعد

* * *

تسَلَّم هذه الشمـ س التي تَوَسَّس أو تَهْدِي
لقد كانت هَداها الله مِكَسَالاً من المهد
تجوب الأفق في جهد وما تسرع بالجهد
وكانت تحجب الأنوا ر أو تبدي فلا تجدي
وكانت شعلة حرَّى من اللوعة والوجد

* * *

تسَلَّم هذه الأطيا ر واسألها عن العهد
تُغْنِي الآن فاسألها أَغْنَتْ قَطُّ لي وحدي؟
وإن غنَّت فهل كا ن سوى نوح لها مُعَد؟
وإن أعدت فهل تُعدي بغير الشجو والسهد؟
نعم سلها جزاها الله: أين تحيةُ الورد؟
وأيّن تحية الإلف؟ وأيّن تحية الفرد؟
لقد كانت لحاها الله تطويها على عمد
فسلها: فيم تطويها وفيم تَضُنُّ أو تُسدي؟

* * *

تسَلَّم أنجم الليل بلا عدٍّ ولا حدٍّ
تسَلَّمُها وكاشَفُها بما تُخفي وما تُبدي
وسلها: كيف ضلَّتنِي وما ضلت عن القصد؟
وفيمَ تغامِزُ منها إذا حيَّرني قيدي؟
نعم قيدي الذي في النفـ س لا في صفحة الجلد
أهزلاً تهمس الأنجـ م أم تهمس عن جدٍّ؟!

* * *

تسلّم زهرک المحبو	ب في السهل وفي النجد
تراه ضاحک العين	تراه ناضر الخد
فسله: ما عراه أمـ	س حتی لان بالرشد
فلا يلهو ولا يُوصي	بغير الهمّ والزهد
فما عن لومه في ذا	ک يا مولاه من بُدّا!

* * *

تسلّم هذه الدنيا	كما خلّفتها عندي
بحمد الله تلقاها	كما تلقاك بالحمد
فخذها راضيًا عنها	وعني وعن الودّ
وعلمّها إذا ما عدت	لا عدت إلى البعد
أمانًا في مغيب منـ	ک أو في محضر رغد
فما تسمع لي قولًا	إذا ناجيتها وحدي!

الفنجان

أتؤمن بالفنجان! لا يا صديقتي	بثغرك لا الفنجان أصدق إيماني
إذا هو أعطاني السعادة فلتكن	نبوءتها في الكأس أو سور ^{١١} فنجان
وإن يكن المغزى هناك خرافة	فثغرك صدق في ابتسام وتبيان
في كوثرِي من رضاب معطر	وفي جوهري من ثناياه فتّان

^{١١} السور: ما يبقى في الإناء.

قُرْبَى

تقربني لله بالدعاء
ليس مكانٌ في السماء كُلِّها
ربِّ صلاةٍ علّمت مصلياً
ورفعت من طينة الأرض إلى

وأنت قُرْبَى الأرض للسماء
عن شاعرٍ أو عاشقٍ بناءً
إجابة الصلاة والرجاء
عرش الضياء سلّم ارتقاء

كأسُ وُضوءٍ

هنا — ويا حسن ما ضمّت هنا — قدحٌ
في كلِّ قطرة ماءٍ ههنا أثر
مرّت بقدّك تحكيه، وربّما
فلو تعود كما لامستها رسمت
تطهرت بك لَمّا أنْ طهرت بها
وصافحت منك تقوى الروح في جسد
هذي خلاصة إنسان مقدسة
أخطئُ أنا إن أحسستُ في كبدي
فكم أغالب من إغراء سكرتها
تنازع الدين والغِيّ الهيام بها
فليت شاربها يدري أحصته
خوفي — ويا طول خوفي — أن تمزقني

تُغوي قلوب العطاشى أيّ إغواء
من قالب الحسن في روح وأعضاء
حكى الوضوءُ جمالَ الروح في الماء
مثالك المفتدى في مهجة الرائي
عند المُصلّي، وزادت حسن إيماء
يغزو التقاة بأشواق وأهواء
ليست خلاصة أعنابٍ وصهباء
شوقين من نشوةٍ فيها وإرواء؟
ما لا يغالبه ظمآنُ صحراءٍ
وقربت بين إسعاد وإشقاء
عند الخضيراء أم عند الحميراء؟^{١٢}
كلتاها يوم إحيائي وإحصائي!

^{١٢} الخضيراء: كناية عن الجنة الخضراء، والحميراء: كناية عن جهنم الحمراء.

رقية السهر

تجلّت آية الكرسي^{١٣} سي، ما أعلاه كرسيًا!
أظلل سباتها عيني^{١٤} سي حين لمست عيني
أترقين من السهد وما أبغي له رقيًا؟
سرورًا بك هجراني الـ كرى المحبوب والرؤيا
دعي الرقية للسهد الـ لذي يدعونه نأيا
وللنوم الذي ألقا ك فيه حين لا لقيا

المنديل

تعاشق لُحْمَةً^{١٣} وسدى ورفرف خافقًا غردا
وأخت طُرَتْاه^{١٤} يدًا على عهد الهوى ويدا
وقبل النسج كم ساغ الصـ صفاء سحابة وندي
وناغى الطير صاحبه على شجراته، وشدا
وعاشت في الرضى شجرا ته مخضرةً أبدا
فيا منديل لا تبرح بعهد الحب منعقدا
عريق أنت يا منديـ ل روحًا فيه أو جسدا
إذا صنت الوديعة لي فلا بدعًا ولا فندا
وإن تحفظ أمانتها حفظتُك أنت مجتهدا
سنسأل عن شذاك غدًا وبعد غدٍ، وإن بعدا
فصن سرَّ السؤال لنا ولا تخبر به أحدا

* * *

^{١٣} لُحْمَةُ الثوب: ما نسج عرضًا، وسداه: ما امتد من خيوطه.

^{١٤} الطُرَّة: طرف كل شيء وحرفه.

هدية الكروان

من الكتان يا نسًا ج، فانسج كل ما خلدا
وعى خُلْدَ الفراعين وزان عروشهم أمدًا
ومن يرَضَ الحريرَ به بديلًا ساء ما اعتقدا
فماذا تَنسج الديدان ن من ذكرى لمن سعدا؟
وما الديدان والذكرى؟ ومن ذكّر اسمها جمدا! ١٥
هو الكتّان يا نسًا ج، فانسج منه منفردا

* * *

بيوم كان للمندي ل قدّس لُحْمَةً وسدى
وقدّس قبله من أن ببت الكتان أو حصدا
وقدّس مثله من قا م عند النّول أو قعدا
وقدّس كل من نادى به في السوق، أو شهدا

حلم اليقظة

أين مضى الحلم الذي كنت أراه ههنا
إذا صحوت والتفتُ ت عن شمالي موهنا! ١٦

* * *

كنتُ إذا ما قطعتُ نومي صحواتُ السهر
غبطتُ عيني وأغُ ضيتُ عن النوم النظر

* * *

وكان عندي حلمًا في يقظة الليل المديد

١٥ الحرير من نسج الديدان، وهي تذكّر الإنسان بالموت والقبور؛ فيجمد من يذكرها خلفًا لمن يذكر الكتان، فإنه يذكر الخضرة والطير والشجر والحياة.
١٦ الوهن والموهن من الليل: بعد منتصفه أو بعد ساعة منه.

غزل ومناجاة

أسمعُ من أنفاسه نسمةً فردوس بعيد

* * *

أسعد ممّا في الكرى من راحة ومن أمل
ومن خيال لا يحدُّ دُومعانٍ لا تمل

* * *

فالآن أبشر يا كرى! كلُّ جفوني الآن لك
حتى أعود فأرى في جانبي ذاك الملك

ليلة

بيني وبينك ليلة يا ليلة القرب الأمين
يا حبذا لو تسرعين ن، وحبذا لو تطفرين!
وإذا أتيت فحبذا لو تَلَبَّثِينَ فَتَخْلُدِينَ!

عروس الليالي

عروس الليالي تهبط اليوم من علٍ
سَرَتْ بين شرقٍ من ضياءٍ ومغربٍ
كأنني أراها من دُهور بعيدة
فيا ليلةَ القدر المؤمِّل أقبلي!
خذي لك جثماناً يضمُّك عاشق
وتيهي بوجهٍ من صباحك مشرقٍ
سأبديك شعراً يملأ السمعَ شدوه
وتدنو على طول النوى والتدلُّ
وبين جنوب من ضياءٍ وشمألٍ
لطول اشتياق وجهها وتأملي
تعالِي أقبِلْ منك كلُّ مُقبِّلٍ
قليلٌ لديه صورة المتخيل
وميلي بفرعٍ من مسائك مُسبِّلٍ
إذا ضنَّت الدنيا بجسمٍ ممثِّلٍ

ثُرْثَارَةٌ

أراكِ ثُرْثَارَةً في غير سابقةٍ فهايتِ ما شئتِ قالاً منك أو قِيلاً
ما أحسنَ اللغوَ من تُغَرِّ نَقْبَلُهُ إن زاد لغواً لنا زدناه تقبيلاً

ثروة النصيب

مَنِّيتَنِي بالثروة الجلل وبنيت لي داراً على عجل
وإذا «النصيب» أصابني احتفلت داري بحسبك كلَّ محتفل
حسبي إذا عز البناء غداً في ساحة بالسَّهل والجبل
دور تؤسسها وتعمرها في ساحتين: الحب والأمل

قرنفلك

قرنفلك الذي يحكيك حسناً أتعلم أنه يحكيك سمناً؟^{١٧}
تَعَدَّدَ لونه فتجنَّبوه على حذرٍ، ولم تحذره أنتا
له عطر شبَّيه هواك فردُّ وألوان من الإحساس شتَّى

النجوم السواغب

أرى أعياناً قد ووصت في سمائها ألك النجوم الناضرات سواغب؟
موائد حب تشتهيها ودونها مصاعب لا تجتازها وغياب
نعمت بها في ليلتي، وهي فوقنا تمد لها ألحاضها وتراقب
ومسكينة هذي الكواكب في الدُّجى ومسكينة تلك الورود الشواحب

^{١٧} السمت: الطريق، وهيئة أهل الخير.

فهاك خذي من سؤر ما أنا شارب
وخذ يا نسيم الليل عشرين قبلة
ثمالة كأسي كلّها يا كواكب
وخذ مثلها يا روضُ إنك غاضب
غنيت، وإنّي إن غنيت لواهب!
غنني أنا بالحبّ، عاش الذي به

النيل الغاضب

أساهم^{١٨} يا نيل؟ لست أدري أم ناقمٌ يا نيل طولَ هجري؟
فربّ شهرٍ مرّ بعد شهرٍ وعامٍ سوءٍ بعدَ عامٍ شرّ
ولا بشفعٍ زرتُ أو بوتِرٍ

لاقيتني يا نيل والحبّيبا كما تلاقي طارقًا غريبًا
وزدتنا كيدًا لنا مُريبًا، أغريت يا نيلُ بنا الرقيبا
يكاد يحصي سرّه وسري

وكيف يا نيلٌ إليك حجّي ولم أكن أخاف أو أرجّي؟
بل كيف يهديني إليك نهجي وقد هوى نجمي وضلّ برجّي؟!
وعزّ قرباني ولاح عذري؟

ذاك الذي كنتَ معي تراه غيري إليك ربّما دعاه
فقد هداني كاهن سواه إليك يرعاني كما أرعاه
بعد ضلال في الهوى وخسر

^{١٨} سهم وجهه: عبس وتغير.

هدية الكروان

يا نيل أما الآن فالمزار عندي له المنسك^{١٩} والشعار
فلا يغيب في الدجى نهار أو ينجلي عن بدرنا السرار
إلا سرينا لك حين يسري

* * *

يا نيل فاشغل حولنا العيونا إذا وردناك مسبحينا
تلك عيون تكره السكونا ومن يحبون ويسعدونا
لا رضىت عني ولا عن بدري

نجوى النجوم

بحسبي الأنجمُ الزُّهر فلا شمسٌ ولا بدرُ
ترينا عزلة النجوى ففيها للهوى سر
وفي لمحتها همس كما يبتسم الثغر
كهمس الشيخ قد سُرَّ بأحفاد له سُرُّوا:
خذوا الدنيا خذوا الدنيا وغرُّوا العيش واغترُّوا
درت الحكمة الكبرى فأدراكم هو الغرُّ

* * *

بحسبي الأنجمُ الزهر فلا صبحٌ ولا فجرُ
سواحر تنبئ الأحبا ب، والليل لها سفر
رصينٌ صوت نجواها وديعٌ حولها الدهر
لها ستر وما للشمس س أو بدر الدجى ستر
لها الشكر فقد سرت حبيبي، ولها الفخر!

^{١٩} مناسك الحج: عباداته. وشعائره: علاماته ومناسكه أيضا.

كلماتي

كلماتي! كلماتي!
هل معيني وحيُّك الصا
أنا أستاذيك^{٢٠} ما لم
من معانٍ تتعالى
فاسألني الأرباب عن تلك
أو سلي الصمت فكم صم
ينتهي شأو الأحاديث
وبه لاز هداة
صدق الوعد فهاتي
نقْ أو وحيُّ اللغات؟
تبلغيه بأداة
عن لسان وَلَهَاة^{٢١}
ك المعاني الخالدات
ت له علم ثقات
ت إليه والرواة
عرفوا وحي النجاة

انظري يا كلماتي
ما ضياءٌ ثَمَّ في الأف
لا من الأرض ولا من
لا تراه غيرُ عيني
هل يرى الدنيا امرؤ لم
كلماتي أنت في وا
اسألني الأرباب عنه
وأصيخي في أناة
ق، وفي كلُّ الجهات
دائرة الأفلاك آت
وهو ملء الكائنات
ير منه قبسات؟
د من التيه شتات^{٢٢}
أو سلي الصمت وهاتي

كلماتي ما تقولي
ما نعيمٌ يمنح الكف
تقصر الألباب عنه
من إذن يا كلماتي
فَ غذاء المهجات؟
وهو بعض اللمسات

^{٢٠} أستاذاه الشيء: طلب منه أداءه.

^{٢١} اللهاة: لحمة مشرفة على الحلق.

^{٢٢} الشتات: المتفرق.

تارة أو زهرات	في يدي أدعوه خصرًا
تارة أو قبلات	في فمي أدعوه ثغرا
ه إذن يا كلماتي	وفؤادي؟ ما اسم ما فيـ
أو سلي الصمت وهاتي	اسألني الأرباب عنه

* * *

تلك فوق النشوات	نشوات تلك؟ لا بل
تلك غير اليقظات	يقظات تلك؟ لا بل
وارتقت مرتفعات	بلغت منها مداها
ف وتُصغي وتؤاتي	تسلس اليقظة للوصـ
لزمت صمت السبات	فإذا جازت مداها
سين إذن يا كلماتي؟	كلماتي! ما تقولـ
أو سلي الصمت وهاتي	اسألني الأرباب عنها

* * *

كلّ هاتيك الهبات؟	لحظة تمنح قلبي
حقبًا متصلات؟	لحظة ترفع عمري
عة لا بالسنوات	ربّ عمر طال بالرفـ
لاح بين اللحظات	لحظة؟ لا بل خلود
من شبك الحلّقات	كالسماوات تراها
من كوى ^{٢٣} مختلفات	ربّ آباءٍ تجلّت
ملأت كأس حياة	وقطيرات زمان
س فقل في السكرات!	وإذا ما طغت الكأ
تغتلي بالصحوات	سكره تُغشى وأخرى
من لزيّمي لثمات	هكذا بتنا رفيقيـ

^{٢٣} جمع كوة، وهي فتحة في الحائط.

غائب غافٍ، وصاح
كلماتي! ما تقولي
لحفيف الهمسات
من إذن يا كلماتي
أسألي الأرباب عنَّا
أو سلي الصمت وهاتي

أين أملاكٌ على أبـ
تصقل الأفاق في الليـ
لا أرى الدنيا على نو
أين؟ لا بل ندع الدنـ
نورنا الليلة مصبا
غصّ جفنيه حياءَ
شفقيًّا أو فقل إن
عسجدًا بارك حسنًا
سبّحت عيني ونفسي
في كنوز منهما أيّ
ثروة أنفق منها
ولبعثي يوم أن تبـ
كلماتي! ما أراك الـ
عنك أغنتني كنوزي

أرجها المطلعات؟
ل وتجلو النيّرات
ر الليالي الغابرات
يا وراء الحجرات
ح وليد اللمحات
من غضيض النظرات
شئت فجرّي السمات
عسجديّ البركات
ويدي في غمرات
كنوز مغنيات
لحياتي ومماتي
عث في الطرس وصاتي
يوم إلا خاذلاتي
وكنوزي مهلماتي

سمعتني كلماتي
ثم قالت في حياء
باح لي الصمت ولكن
قال: ساموك عسيرًا
ارجعي، ثم أعيدي
مرة أو عشرات
ما بدرس واحد تو
هكذا يا شاعري أـ

واستعادت دعواتي
كالعذارى الخفّرات:
فاتني أيّ فوات
في التمني يا بناتي
ثم عودي صاغيات
وإذا اسطّعت مئآت
فين هاتيك الصفات
همني الصمت فهات

هدية الكروان

هاتها وافرح بإحسا ني وراقب حسناتي
لا يبوح الصمت إلا درجاتٍ درجات

* * *

كلماتي! صدق الصم ست، أجل يا كلماتي
غير أنني لا أعيد الـ أمس إلا بصلاة
مرجع الأمر لمن ضم مَت رجائي وشكاتي
يملك العودة من أحـ يا من الأرض الموات
فابعثي الصمت إليها في خشوع وتقاة
ربما أعطت وإن لم تسألي يا كلماتي

يوم يبحث عن ذكراه

يومٌ بحثنا عن تاريخه لنحتفل بذكراه، فإذا اليومُ الذي خطر فيه هذا الخاطر هو يوم
الذكرى بعينه، فكانت مصادفةً من أعجب المصادفات:

لم يطوهِ الزمن الماضي ولا احتجبت
خلناه في الغيب منسياً فذكّرنا
قمنا لنبحث عنه في صحائفنا
يا يومَ أوّل لقيا بيننا عرضت
نعم بعثناه في حبٍّ إذا ذهب
مباركٌ يومٌ عيدٍ في عواقبه
لما بحثنا لنلقاه ونذكره
سرٌّ من الله في رُوحين ما برحا

في ذمة العام بعد العام سيماه
بنفسه اليومُ في إلهام نجواه
فكان ميلاده ميعاد ذكراه
ثم انطوى عهدا حتى بعثناه
مزية العمر لم تذهب مزاياه
لم يسْهُ عَنَّا وما كُنَّا لننساه
إذا به باحثاً عَنَّا لنلقاه!
من قبل لقياهما يرعاهما الله

هبوط النفس

إذا هبطت نفسي فلم تبلغ الذرى
فللحبِّ أوجٌ في العلا قلَّما ارتقى
وددت لو اني لا أفارق أوجَه
ولكنَّها حربٌ مع الدهر لم يزلْ
فلا تحسبِ القلبَ المشرَّدَ غاضبًا
وإنْ تكُ يومًا في الصعود مؤازري
ولست على مثواي في الأرض نادماً
من الحب فارفعها، وكن أنت عاذرا
بنو الأرض إلا مرتقى منه نادرا
ولا أستوي في الأرض، لو كنت قادرا
بها القلب مقهورًا هناك وقاهرا
ولا عاتبًا، واحسبه أسوانَ حائرا
أكن لك يومًا في الصعود مؤازرا
إذا كنت لي نجمًا على الأفق سافرا

سحر السراب

هذا سرابك جنةٌ تُغري
صحراءُ بعدك ما خلت أبدًا
لكنه يُغري وليس به
وإذا السراب خَلَّتْ كواثره
فافتن بذاك وذاك يصفُ لنا
يا فاتني بالقرب والذكر
من كثر في أفقها يجري
ريّ، وعندك لُجَّةُ النهر
من مائها لم تخلُ من سحر
أمن المقيم، ولهفة السَّفَر^{٢٤}

عالمنا

في الحبِّ والشعر والإخلاص عالمنا
إذا نظرت حوالينا فلست ترى
دعنا من العالم الموبوء بالدنس
إلاَّ السموات في مرأى وملتمس

^{٢٤} السَّفَر: المسافرون، والمعنى: إن في البعد سحرًا كسحر السراب الذي يفتن بالشوق والأمل ولكنه لا يروي، وإن للقرب فتنة الرِّيِّ ولكنه لا لهفة فيه، ومن عرف الفتنة بالسحرين جمع بين أمن الإقامة ولذة السفر.

هجو

هجوئك في بيتين جهدي فلا تخف
أقول: رعاك الله إنك محنة
وقلت — وما أتممت بيتين: إنني
وسلني، فإنني قائل لك بيتين
وطول عناء حين تَغْرُب عن عيني
شقيُّ بما ألقاه منك على البين

هجو آخر

هذا الدلال علاماً؟
تغيب عني فيمسي
وإن سمحت بقربي
تُزهى بهذا، فهلاً
أكان حتماً لزاماً؟
يومي من الدهر عاماً
قصّرت لي الأيام
خشيت فيه الملاماً؟

الوساوس

أنا ساهرٌ والليل دامس
ومن الغد الخافي وما
ومن الذي بالأمس كا
ومن الذي تخفيه تلـ
ترنو إليك وخلفها
ودع الغياب ومن يجا
ودع الحفول ومن يرا
يا لهفتا إن قيل لا
هذا وذاك كلاهما
ويل المحبّ من الوساوس
من زحفه المأمون حارس
ن، وريبه في الصدر هامس
لك الأعين السود النواعس
في القلب سرٌّ عنك خانس
لس في الغياب ومن يؤانس
قص في الحفول ومن يلامس
هـ بينهم أو قيل عابس!
راضٍ به قلبي وبائس

لا تنأ عني إن لي
هي من شياطين الظلا
في كلِّ نائي ألف هاجس
م وأنت مثل الصبح شامس

أشرق عليها ينصرف
لا ضير عندي أن تعيب
منها المسالم والمشاكس
ش إذا انجلي ليل الوسوس

رجاء اللقاء

رجائي بأن ألقاك بدد وحشتي
أراك فتنجاب الوسوس كلها
فكيف إذا أمسيت أنت مؤانسي؟
وأنت إذا ما غبت كل وسوسي

شكوك العاشق

رأى ابنًا في الكرى زهقا
يضم وليده ثقة
ويخفق قلبه فزعًا
إذا ما خاف ذو شغف
فهبَّ مروءًا قلقا
وينسى أنه وثقا
ويفزع كلما خفقا
فذاك المارد انطلقا

* * *

كذاك الشك في قلبي
أكذب به، ويحزنني
فديتك لا تعدني الحز
فما لي بالخيال يد
إذا ما طاف أو طرقا
كأن نذيره صدقا
ن من ذنبي ولا الفرقا
إذا ما خال أو خلقا
كذلك كل من عشقا!

صفقة مغبونة

أراني في غرامك لا أجاري
ألم يسع الزمان الرحب قلب
فكيف وعند قربك لي شريك
وإن جازيتني حبًا بحب
وهبتك، وقلبك غير رحب؟
وما لك من شريك عند قربي؟

جهلت الحب إن أعطيتُ قلباً يقيم على الوفاء، بنصف قلبٍ

بلدي

أَمَحَلَ الدَّهْرُ واطَّرَدُ	لا خميسٌ ولا أحد
لا انتظارٌ لموعِدٍ	أو هَيَامٌ بمن وعد
كُلُّ أَيْامِنَا تَسَا	وين في الوسم والعدد
صَبَحَهَا مِثْلَ لَيْلِهَا	والتقى أَمْسَهَا بَغْد
تُنْقِصَ الْعَمَرَ كُلُّهَا	وبها العمرُ لم يُرَدَّ ^{٢٥}
لم تزد ماضياً وقد	نقصت مقبل الأمد
قد رجعنا كما بدأ	نا فما الخوف والكمد؟
كان لي الحزن موطناً	فتباعدتُ، فابتعد
ثم عدنا فهل ترى	واجداً خاف ما وجد
بلدي أنت بي أبـ	رُّ، فلا بنتَ ولا بلد

ميناء قلب

نَمَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ وَالنَّفْسِ فَمَا لك في قلبي سوى الحب الطهور
أَنَا إِنْ لَمْ أَكْرَمْ الصَّاحِبَ فِي غَيْبَةٍ، إِنْ إِنْ جِدُّ كَفُور

* * *

أَنْتَ مِينَائِي إِذَا الْبَحْرُ طَغَى واكفهرَ الليل، واستعصى العبور
هَبْ بِهِ بَعْضَ صَخُورِ أَتْرَى أنقض الأسوار حولي والجسور؟!
لَا وَحْبِي! بَلْ قِصَارَايَ إِذْ أنني أعرف هاتيك الصخور

^{٢٥} يوم السعادة الذي يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر، ولكنه يزيد في ثروة الماضي، أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده في ماضٍ أو حاضر.

فإذا جاورتها جاورتها غافراً ما شئت، والحب غفور
بل أراني شاكراً لا غافراً وشبيهان غفورٌ وشكور

* * *

نم قرير العين والخاطر يا أكرم الأحياب في الدنيا الغرور
لا تخف في الغد شراً من أخ ودَّ لو ينجيك من ماضي الشرور
في أمانٍ أنت منِّي وأنا في أمانٍ منك، والدَّهر يدور
أنا أدري بك من نفسك يا طاهر النية في كلِّ الأمور
إنما تخطئ من حب إذا أخطأ الإنسان من غش وزور
ويح قلبي أنا إن أحزنت من هو في الحب على الحزن صبور
كم قسا منِّي وكم جار الهوى والهوى منك رحيم لا يجور
لك من عطفٍ شفيح دائم وشفيعي عندك الوجد الثَّور
نم قرير العين والخاطر لا قرَّ ذو ضغنٍ ولا نامَ غيور
خلَّ جهلَ الناس في ظلماته واجلُّ لي حبَّك نوراً فوق نور

فوق الحب

صاحبي من سروره وسروري في صفاء الزمان يلتقيان
وصديقي من استجدَّ سروراً من سروري، وإن تناءى مكاني
وحبيبي من قلبه كيفما كا ن، وقلبي في الشجو يستويان
فالذي يرتضي العذاب لأرضى كيف أدعوه؟ ما اسمه في البيان؟
ذاك فوق الحبيب إن كان فوق الـ حبَّ شيء يرجى من الإنسان
ذاك فيه من صبغة الله سرُّ جلَّ عن صبغة الوجود الفاني

سريان روح

لا تسلني متعبٌ أنت فما
بجناحين من الحبِّ ومن
طرت لا أشكو المدى من تعبٍ
لم أكن ألمس أرضاً إنما
تتعَب الأرواح في عُلِّيا السماء
حسنك الخافق، ينقاد الفضاء
حين صاحبتك في ذاك المساء
كنت أسري حين أمشي في ضياء

توكيد

أحدث نفسي بالفراق وأخشاه
هو الشيء لا تدري بفرط وجوده
كما تقذف الأمُّ الوليدَ لتلقاه^{٢٦}
ولا حبه إلا إذا غاب مرآه

جواز الحياة

قالت: جوازك؟ قلت: هاكِ!
فدخلت في خدر الحيا
أبرزُ جوازك تقتسم
أو لا فأنت ببابها
حبُّ أنالُ به رضاكِ
ة وراء ألفاف الشباك
دار الحياة على اشتراك
أبدًا تحوم بلا فكاك

الخرافة الصادقة

دعني أثوب إلى العرَّاف أسأله
جلا عجائب دنيا لا نظير لها
فإن أبت مؤمناً بالسحر لا عجبٌ
فالحب علّمني صدق الأساطير
في زعم مُخْتَلِق أو وهم مسحور
هذا هو السحر في حسي وتفكيري

^{٢٦} الأم إذا قذفت ابنها في الهواء ثم تلَقَّفته شعرت بالخطر عليه ثم شعرت به بين يديها، فكان في ذلك توكيد وجوده ومضاعفة السرور بالأمن عليه.

علم الحب

إذا ساءت الدنيا ففي الحبِّ مهرب
فبالحب تدرى الحسن والقبح عندها
وتَحسُنْ دنيا من أحاط به الحب
وفي الحب علم لا تعلّمه الكتب

الثوب الرشيد

فرحات قلبك بالجديد
أخجلتْ بالثوب الرشيد
هو لا يعاد فما لقد
خلّ الحياء لمن يلو
أولى بالاستحياء من
كلّ الثياب لمن يزيه
فافرح بحلتك الجميـ
لو ترتدي ثوب الوقا
للبيستها فرحاً بها
من فرحة الطفل السعيد
ق وأنت صاحبه الفريد؟
ك من معيد في القدود
مك واحلّ أنت كما تريد
عذل الجمال على المزيد
من ثيابه عفّ حميد
لة فالجميل هو الرشيد
ر وهيبة العمر المديد
كالطّفّل في الزيّ الجديد

عمر شعر

شعري القديم عشقته وحفظته
وجديد شعري إن نظمتُ فإنّما
فكأنّ حبّي كان عندي كله
فاحرص على قلب أباحك ماضياً
وحَيِّتُ فيه حقيقةً وخيالاً
لك بتُّ أنظمه، وفيك توالى
رهناً بحسّنك مبدأ ومآلاً
منه وحاضره والاستقبالا

الحياء في الحب

صنّ من حيائك ما يذكّرنا على
واخلع حياءك يوم يُنسى أنّنا
الحبُّ أجمع حين تعلم سرّه
قلْبُ يرفرف في جوار قرينه
متفرّقين ليعطيا، فإذا التقى
ويلدُ بالثمر الجديد كلاهما
طول التآلف أنّنا جسمان
قلْبُ تفرّد ما له من ثان
في ذلك التذكّار والنسيان
لا القلب مبتعد، ولا هو فان
حظّاهما فسروره ضعفان
كالخور تحت عرائش الرضوان

عتاب

أيها المانع الرسائل عني
هَبْ ردودي أبطأن عنك، فقل لي:
لا التحدي ولا التشاغل يُرضى
ضامنٌ أنت إن تسلّفت عذري
هل يكون الوفاء كُتِبًا بكتب؟
مَنْ أقالَ البريدَ من كلّ ذنب؟!
من حبيبٍ مُعاتب، أو مُحَبٍّ
حسن ظن بالود، أو حسن عتب

لقاء شجي

هل عجبٌ في الحب برح الأسى
هاتيك نفسي استجمعت نفسها
لا تجمع الأنفس أجزاءها
إلا أطالت نظراتٍ لها
يا رحمةً للقلب من نشوة
بعد ابتهاجي بلقاء الحبيب؟
فابسط لها عذر اللبيب الأريب
ما بين نابٍ حولها أو مجيب
فيما بدا منها وفيما يغيب
يشابه النشوان فيها الكئيب

مولد أو نشوء وارتقاء

وَسَلَامٌ يَا شَتَاءُ	زَانَكَ اللَّهُ بِصَفْوِ
أَوْ مَا فِيكَ عِزَاءُ؟	طَالَ بِي فِكْرَ اللَّيَالِي
زَهْرَةٌ مَنِّي إِلَيْكَ	قَالَ لِي: هَاكَ فَخْذَهَا
وَلَهَا فَضْلٌ لَدَيْكَ	ذَاتَ حَسَنِ وَحْيَاءِ
فِكْرَةٌ فِي رَاحَتِكَ	وُسِمَتْ بِالْفِكْرِ ^{٢٧} فَاقْبَسْ
هِيَ حَسَنٌ وَحْيَاءِ	قُلْتُ: حَقًّا يَا شَتَاءِ
لَيْسَ لِي فِيهَا عِزَاءِ	غَيْرَ أَنِّي، وَهِيَ صَمْتُ،

* * *

دِ مِنْ الطَّيْرِ مُجِيدٍ	قَالَ: يَرْضِيكَ إِذْنُ شَا
وَلَهُ مِنْهَا نَشِيدٍ	هُوَ لِلجَنَّةِ ^{٢٨} يُدْعَى
يَكُ فِيهِ بَوْلِيدٍ	يَعِشُّقُ النَّيْلَ وَإِنْ لَمْ
هُوَ حَسَنٌ وَغِنَاءِ	قُلْتُ: حَقًّا يَا شَتَاءِ
لَيْسَ لِي فِيهِ عِزَاءِ	غَيْرَ أَنِّي، وَهُوَ صَوْتُ،

* * *

رِ مِنْ الْبَرْقِ بِشِيرٍ	قَالَ: يَرْضِيكَ إِذْنُ سَا
عَارِضُ الْغَيْثِ، يَنْبِيرِ	يَصْدَعُ الظُّلُمَاءِ، يُزْجِي
وَمِنْ اللَّحْمِ سَمِيرِ	فِيهِ مِنْ قَلْبِكَ نَبْضِ
مِنْ شِعَاعٍ فِي فِضَاءِ	قُلْتُ: دَعْنِي يَا شَتَاءِ
كَانَ لِي فِيهِ عِزَاءِ	أُذًا جَادَ بَغِيْثِ

* * *

^{٢٧} المقصود — كما يظهر من هذا الوصف — زهرة الثالوث المشهورة بزهرة البنسية، وهي كلمة ترادف

بالفرنسية كلمة «فكرة»، وتظهر هذه الزهرة في الشتاء.

^{٢٨} عصفور الجنة.

هدية الكروان

قال: والشمس؟ فما ظنُّ
كُلِّما عدتُ بها سبُّ
فيك منها لمحة حرُّ
قلت: حقًّا يا شتاء
غير أنِّي، وهي صبح،
نُك بالشمس ذكاء^{٢٩}
بَحَّ عشَّاق السماء
رَى وطهر وضياء
هي نور ورجاء
ما عزائي في المساء؟

* * *

قال لي: أنفدتُ كنزي
غير ذُخْرٍ من بني الإنـ
فيه من صبح ومن ليـ
أتراه؟ قلت: حقًّا
هو حبُّ وحياة
كلُّه بين يديك
سان أبقيه عليك
ل قصارى غايتيك
هو في الدنيا العزاء
وربيع يا شتاء

* * *

من بني الإنسان في ذا
زينَّة للعين واللبـ
طاهر كالمزنة البـ
كبنات الروض مفتنـ
وارف كالظل مُحـي
ت شتاء وُلدا
ب ولقلب بدا
ضياء صاف كالندى
ن الحلّى جم الحياء
في شذاه كالهواء

* * *

يا شتائي فيم إخفا
أي روض؟ أي برق
أنا مستغن به عنـ
قد تعلمت وأتقنـ
منذ عشرين وخمس
وَك ذاك السرُّ عنِّي؟
أي شمس فيك أعني؟
ها فماذا عنه يُغني؟
ت أفانين السخاء
من سني الدهر سواء

^{٢٩} في أساطير الأقدمين أن الشمس تولد مرة في أوائل الشتاء.

* * *

طلي إذا تم العطاء	ثمَّ عندي كل ما تع
ينتهي خيرَ انتهاء	وجميلٌ كلُّ بدءٍ
مي على هذا النماء	وجميل زهرك الناء
حبُّ: حقًّا يا شتاء	صدَّق العلمُ وقال الـ
في المعاني وارتقاء	سُنَّةُ الزهر نشوء

إساءة مشكورة

إساءة اللقيا غداة السفر	إليك مني الشكر حتَّى على
من لوعة الهجر وطول السهر	أغضبني منك فأنجيتني
تعرَّض العتب له فاصطبر	إذا التوى الصبر على عاشق
كذاكر اللجة فيها الخطر	ما ذاكر اللجة رياءً له
أن ينظر الغُصَّةَ فيما انتظر	ولهفة الضامئ تريقها

عروس الشعر - في البعد

في البعد نظم القصيد	عروس شعري أجيدي
وحي؟ أما من نشيد؟	فيمَ السكوت؟ أما من
أو لا صدى من بعيد؟!	أوحيُّ ثغرٍ لثغرٍ
مُستحدِّثٍ أو بريد؟	أما سمعت ببرق
وسكةٍ من حديد	وناقِلٍ من أثير
بيوم قرب سعيد	بشرى إذن ألف بشرى
أوتارها من جديد	إلى المزاهر هزِّي
ورتلِّي واستعيدي	ورنِّمي واستعدي

صنوفُ حبٍ

عرفتُ من الحبِّ أشكاله وصاحبتُ بعدَ الجمالِ الجمالَ
فحبُّ المصوِّرِ تمثالُه عرفتُ! وحبُّ الشبابِ الخيالَ

* * *

وحبِ القداسةِ لم أعدُه وحبِ التصوفِ لم يعدُّني
وفي كلِّ حبٍّ ورَى زنده سماتٌ من المؤمنِ الدَّينِ

* * *

وحبِ المزخرفِ والمنتقى وحبِ المجرَّدِ والعاطلِ
وحبِ الجِماحِ، وحبِ التَّقَى وحبِ المجدِّدِ والناقلِ

* * *

وحبِ الثُّقاتِ وحبِ الصِّحا ب، وحبِ الطبيعةِ في حسنِها
وحبِ الرجاءِ وحبِ العذا ب، على يأسِ نفسي من حزنِها

* * *

وحبِ التي علَّمتني الهوى وحبِ التي أنا علَّمتها
ومن أستمَدُّ لديها القُوى ومن بالقوى أنا أمددْتُها

* * *

وحبِ الجِياحِ صحافِ الطعامِ وحبِ الظِّماءِ كئوسِ الشِّرابِ
وحبِ الكفاحِ وحبِ السلامِ وحبِ الضلالِ وحبِ الصوابِ

* * *

صنوف من الحب لا تلتقي وفيك التَّقَى لبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق لما كنت كُفُتًا لهذا الهوى

صفات وتأملات

ليالي رأس البر

ولولا سناها قلت: كنت أراها
لعمق معانيها، وبعد مداها
وفيها من السلوى جميل رضاها
ورِقَّةَ أشجان، وطاب نَداها
شوائبُ من هَجَرٍ، فراضَ صباها

مناظر من سحر الجمال أراها
تلوح كذكرى حالم يستعيدها
فمن عالم النسيان فيها مشابهُ
ليالِ برأس البر تَنَدَى وداعةً
وداعةً ذاتِ الدَّلِّ شابَ فؤادها

* * *

وشَفَّتْ دياجيها ورقَّ سناها
وطالت مرامي نبعه فسلاها
ويطغى فلا يحمي النفوس كراها
ترسَّلتِ الأحلامُ ملءَ مُناها
تجسُّ الليالي فيه همسَ خطاها
وذكراك دنيا لا تزالُ تراها
لقلت: نعيم الغابرين طواها

ليالِ برأس البر طابَ نَداها
هنا النيل ساج طال في الدهر سيره
هنا البحر ثَوَّرُ الدُّهور على الكرى
إذا استرسلت أصدائه في اطَّرادها
هنا عالمُ السَّلوى، هنا العالمُ الذي
هنا العالمُ المشهود ذكرى قديمة
فلولا حياتي في عروقي أحسُّها

* * *

إذا ضاحك العين الضحوك شجاها
مناسكُ ضلَّت في الظلام هداها

جمالكَ — رأس البر — في زِيِّ ناسك
لياليك — رأس البر — في صومعاتها

صحاك - رأس البر - أطياف نائم
عناها الذي يعني النيام من الرؤى
حياتك - رأس البر - طفل مجد
فلا تحرمينا رشفة الخلد كلما
بحسبي من أبناء آدم إن صفا
تساوى لديها صبحها ودجها
ولم أر جهداً في الحياة عناها
سقته تُدِي الخالدات جناها
فنينا، وكم تُفني الجسم نهاها
لنا العيش يوماً، أن تكف أذاها

شرفة مصر - في رأس البر

ينتهي البر ههنا
نحن في باب شرفة
نترك الأرض خلفنا
كالذي يهجر الدنيا
مصر من خلفنا ولا
حبذا «الرأس» شرفة
فرجة النفس كلما
أو هنا البدء أولاً
إن تكن مصر منزلاً
ونرى البحر مقبلاً
ر إذا ارتاض واختلى
مصر من صوبنا ولا ...
ومصيفاً وموئلاً
عافت الأرض والملا

خبر الربيع

يا أيها الورق المخضر في شجر
من أين أقبلت؟ بل من أين أقبل في
إنا سألنا، ولو عاد السؤال إلى
سلنا بحقك من أين استجد لنا
كلاهما طارق طاف الربيع به
سله فإن لم يجب فانعم بمقدمه
إذا أجاب بأزهار مفتحة
عهدي وما فيه من ذي خضرة أثر
عيدانك العوج ذاك العطر والزهر
فحوى الضمائر لم نعرفه يا شجر
هذا السرور الذي في القلب ينتشر
على براق من الأنوار ينحدر
وافرح به، وانتظره حين ينتظر
وبالسرور، فحسبي ذلك الخبر

الوجود! لا تنازع الوجود

ليس السرُّ الأكبر هو تنازع الوجود، بل السرُّ الأكبر هو الوجود نفسه، كيف كان وما الذي يبعث إلى التنازع فيه؟ فتعليل أطوار الحياة بالتنازع لتعليل بشيء يحتاج هو نفسه إلى تعليل. وأنت لا تعطيني الكنز إذا وصفت لي صراع الطامعين فيه، وكذلك لا تعرّفني سرَّ الحياة وكنزها المخبوء إذا وصفت لي تنازع البقاء.

وراموا به سرَّ الوجود فأبعدوا
من الخلق؟ أم يبغي الحمى حين يوجد؟
وأنت تبغي الكون^١ والكون مجهد
هنا السرُّ والكنز الذي عنك يوحد
صراعاً على أعتابه يتجدد؟

«نزاع بقاء» فصّلوه وعدّدوا
أيوجد مخلوق ليحمي نفسه
هو السرُّ كلُّ السرِّ أنك كائنٌ
فلا تحسّ ألوان النزاع فإنّما
أمعطي كنزاً إن عرضت لناظري

تجربتي

يا كتبي! أين أنت يا كتبي؟!
في القلب نار العذاب والغضب
حزني، وقد تمنعيني طربي
تُصفين عيشي من كدرة الرّيب
غفلان، والفاجعات عن كُتب^٢
مقهقهها بين فادح النّوب

تجربتي! أين أنت تجربتي؟
لم تمنعي دمعاً تؤجّجها
إليك عني! فلست مانعة
وقد تشوبين لي الصفاء وما
لهفي على غرة أعيش بها
لهفي على جُنّة أهيم بها

^١ الكون: مصدر كان، وهو: الوجود.

^٢ عن قرب.

قربان القرايين

ما في القرايين ولا الأعياذ
أبرُّ في اللب وفي الفؤاد
من يوم حبِّ بالحياة شاد
مدَّخرٍ منتظر الميعاد
تبذله للموت والحداد
رعياً لمن باتوا على وساد
من الثرى في غير ما رقاد
وقطعوا في القبر كل زاد

الفن الحيُّ أو الحياة الفنية

من معاني النفوس ما كان بكرا	خذُ من الجسم كلَّ معنى، وجسِّم
نحتليه، ويبدع الجسم فكرا	حبذا العيش يبدع الفكر جسماً
ويرى للحياة فناً وشعرا	ويرى الفنَّ كالحياة حياةً
واهتدى مَنْ حوى الحياتين طُراً	ضلَّ مَنْ يَفصل الحياتين جهلاً

عمر السعادة

إن السعادة هي الكفاية، والاكتفاء بدءُ التحوُّل والاستغناء، فكأنما السعادة تغرينا بالتحوُّل عنها حين نملكها، فإن لم تُغرينا بذلك فهي كالنور الذي ينبسط على الحياة فيرينا منها أخفى العيوب، فتخلق لنا أسباباً كثيرة للنفور من الدنيا بعد أن كانت تلك الأسباب خافيةً علينا؛ إذ نحن نريد الدنيا أبداً رفيعة جميلة كما صورتها لنا السعادة، ولو لم تصورها لنا على ذلك المثال لقنعنا من الدنيا بالقليل.

ثثق بعمر سعيد طال أو قصرا	ثثق بالرهان على عمر الزُّجاج ولا
يموت قبل نزول الليل منتحرا	لعلَّ أسعدَ حيٍّ أنت مُصبحه

وفي السعادة ما يُغري بفرقتها إن الكفاية تكفي من رأى ودرى
وربما شوّهت دنياك أجمعها إذا رأيت بها عيبًا، وإن صغرا

العرّاف

من عهودٍ مجهولةٍ وديار
حمل اللحية التي تنسج الدهر
هو غيبٌ فكيف لا يعلم الغيب
خلفه للزمان سرٌّ، فهل يطل
في خفايا المجهول عاش فسله
هي أخفى من عمره مستقرًا
ر، وتبديه للنواظر شعرا
ب؟ ودهر فكيف يجهل دهرًا؟
وي غدٌ من أمام عينيه سرًا؟
عن خفايا المجهول ينبئك جهرا

التقديس

عارفُ التقديس رو
ومهينُ الجسم جسمي
أنت بالتقديس تسمو
وهي الأعين لا النو
حيٌّ، وإن قدّس جسمًا
يٌّ، وإن كان «برهما»
لا بما قدّست تُسمى
ر التي تجلو، وتعمى

يوم شتاء

يوم بيتٍ لا يومَ خوض الدياجي
وجمال من النفوس يُناجى
مستهلّين والطبيعة غَضَبِي
نتحدّى الرياحَ والليلَ والأهـ
فإذا ما يروع منها ويضني
كالذي يشهد الكوارث فنا
فانجُ ما بين صفحة وسراج
في أسارير وجهه ويُناجي
وكلانا من هولها الصعب ناج
حوال طُرًّا بصفحةٍ من زجاج!
نتلقاه ههنا بابتهاج
من فنون التمثيل والإخراج

السرور

منع السرور حذار قلبِي قبله
ويزيدني كلفًا به وضنائه
ألا يتم، وبعده التنغيصا
ألا يباح — إذا أبيع — رخيصا

القديس

إن يجهل الناس ما القديسُ في خلق
لا مانح الخير كلُّ الخلق تحمده
أو مانح الخير يرويه ويرسله
منحت خيرك تأبى أن يذاع، وقد
منحتَه من سخاءٍ لا جزاءَ له
تلك القداسة حقًّا لا قداسة من
تلك القداسة من نور وإن سُتِرت

فأنت وحدك قديس السموات
أو مانح الخير مجزيًا بجنات
في حاضر من سواد الناس أو آت
تخشى عقوبته في يوم ميقات
إلا مسرَّة وهَّاب المسرَّات
يزدان بالعرف في سميت وإخبات^٣
كأنها الذنب في ليل الخطيئات

نسختان

خذْ من رجائك نسختين ولا تُصن
فإذا التوت إحداهما عن قصدها
أبدًا رجاءك في كتابٍ واحد
لم تخطئ الأخرى سبيل القاصد

العزاء جملة

غنيْتُ عن العزاء، وهل عزاءٌ
تسلَّفت الفجائع في ارتقاب
لمن قبل المُصَاب رأى المصابا
وحسبي أن أهوَّنها ارتقابا

^٣ الإخبات: هو التخشع.

^٤ الكتاب هنا بمعنى الرسالة أو المكتوب، أو «الخطاب».

لقد هانت خطوبي حين باتت حياتي كلها خطبًا عجابًا
فإن شئتُم فعزوا في حياتي مجازفةً، ولا تحصوا الحسابا

مناجاة الدنيا

يقول الحيُّ: إن كانت غاية الحياة موت فالدنيا هي الخاسرة، والحيُّ لا يشعر بخسارة
فقد الحياة.

وتقول الدنيا: إنَّ حيًّا يجيء يغنيها عن حيٍّ يروح، وبذلك تبقى ينابيع الحياة، فلا
خسارة عليها.

ويقول صوتٌ خالِدٌ لا هو صوت الأحياء ولا هو صوت الدنيا: إنَّ الفناء يصيب الدنيا
كما يصيب الأحياء، فليس هناك عنصر مكتوب له أن يُفنى أبدًا أو يفنى أبدًا، وإنَّما كلُّ
كائن له دور في الإفناء ودور في الفناء.

إن تكن غايةً سعي الحيِّ موتٌ فيك يا دنيا، فأنت الخاسرةُ
أو يكن بعد فناء الميت عيشٌ فيك يا دنيا فأنت العامرة
نحن إن عدنا إليك الخاسرون

* * *

قالتِ الدنيا: بحيٍّ بعد حي أنا أستبقي ينابيع الحياة
فامكثوا في نفوسًا أو ترابًا ما على الحاليين عندي من شكاة
إن زهبتُم فكما كنت أكون

* * *

قال صوت ليس بالدنيا ولا هو بالناس ولا غيرهما
فيه منها ثم منهم أثرٌ ثم من شيء سرى بينهما
كلنا نحن حياة ومَنون
كلنا يفنى ويُفنى ويصون
كلنا مفترقون، كلنا متحدون!

متفرقات

إلى الأستاذ مكرم^١

يا من أسى جرح مصر في ضمائرها
إذا شكا مكرمٌ فدَّته أُمته
كما رعاها وحيَّاهَا وفدَّاهَا
من ليس يعرف إلَّا النيلَ واللَّهَ
جراحُ جسمك تأسو مصرُ شكواها

تهنئة

ولدي في البيان والأدب
كن أبًا واستمع نداءك من
فإذا حَفَّك البنون بما
وإذا ما بلغت في عقب
وإذا ما ارتقيت في رتب
كان لي الفخر أن دعوتك: يا
إنَّ في حافظٍ^٢ لمفخرة
تلك قُرْبى من أكرم القُرَب
كلُّ نجلٍ بذلك اللقب
شئت من بهجة ومن لعب
فوق ما قد بلغت في نسب
أبدًا ترتقي إلى رتب
ولدي، أو دعوتني بأبي
لذويه وصحبه النجب

^١ وجهت إلى الأستاذ النابغة «مكرم عبيد» حين إجراء العملية الجراحية في المستشفى القبطي.

^٢ قيلت في تهنئة الأديب المهذب «حافظ جلال» بخطبته.

تقريظ

لك شعر يحكي سريرة نفس
جُبِلْتُ كالفرّاش في أمة الطيب
واستوت في الحياة فوق جناح
فتعهّد حدائق الشعر والبس
وانشد النور في جوائك واطلب
أنت يا طاهر^٣ الفؤاد جدير
لك يومٌ موفٍ بأجمل سعي
رُكِّبت من صراحة ونقاء
ر خفوقاً بين الندى والضياء
مستطار الخطى رقيق الغشاء
حل الروض، وأطّلع في السماء
بعدها الشمس في رحيب الفضاء
من محبيك بالرضا والثناء
وغدٌ مقبل بخير رجاء

أسود يلتحي

أليس كَفَى هذا السواد فزدته
سريت برأس لا حدود لوجهه
ألا فانتظر حتى تشيب فقد ترى
وأخلق أن يرتادك الشيب حالكا
سواد غراب في لحاك معلق؟
فما زال فيه الليل بالليل يلتقي
سوادك محفوقاً بأبيض مشرق
على حالك، لو كان يجري بمنطق

نبوءة^٤ أو وسواس

يا نبِيّ العزيز! أنت نبِيٌّ
غلبته الشكوك لا عن بيان
موجساً من خيانة في ثنايا الغيب
غلبته وسواس الشيطان!
ناطق بالهدى، ولا برهان
سب، والغيب صارم الكتمان

^٣ هو الشاعر الأديب: «طاهر الجبلأوي»، والأبيات نظمن في تقريظ ديوانه «ملتقى العبرات».

^٤ تنبأ أحد المصدقين بقراءة الأفكار عن بعد أن هناك خيانة ستقع دون تعيين المكان وشخص الخائن، والشاعر يقول في هذه القصيدة: إن هذه النبوءة لا تعدو القول بأن الخيانة موجودة في الناس، وهذا شيء نشترك في علمه أجمعين.

دلَّه حدسه عليها وما دلَّ
أو على آثم جناها وأخفى
قل لنا السرَّ كلَّه يا نبيِّي
أعرف الناس خائنين فهلا
يا نبيِّي، فاشرح لنا أنت ما قد
كان، لا ما يكون في الإمكان
لَ على موضع لها أو زمان
سرَّها عن رقيبها اليقظان
أو فها نحن في الهوى سيان
زدت شيئاً عليَّ في العرفان

الببلا^٥

الببلا. الببلا. الببلا ما أحلى «سُلب الببلا»

* * *

هاتوا الببلا واسقوني هاتوا الببلا. داووني
الطب «وديني» يوصيني بالببلا، تحيا الببلا!
الببلا. الببلا. الببلا ما أحلى البنت الببلا!

* * *

ما لي وما للشيكولاتا تمشي لي تاتا تاتا
بطلٌ مثلي هيهاتا بالحلوى ينسى الببلا
الببلا. الببلا. الببلا أبداً لا أنسى الببلا

* * *

يوم رضاعي خدعوني بالببلا لم يرووني
من ثدي لا تسقوني اسقوني، اسقوني الببلا

^٥ الببلا: أي البيرة ... والقصيدة منظومة في طفل صغير تعبت معدته فوصف له الطبيب مقداراً قليلاً جداً من الجعة يشربه بين حين وآخر، فألفَ الطفل الجعة واستطابها وأصبح يهش لها ويؤثرها على الحلوى والفاكهة. وفي القصيدة تمثيل له على هذه الحالة يجمع نقيضي أمره؛ فهو يتكلم تارة كأنه رجل كبير وتارة كأنه طفل صغير.

هدية الكروان

الببلا. الببلا. الببلا هاتوا لي كأس الببلا

* * *

أخطف كأسِي بالكفين خطف المفطوم الثدين
إن أغمض عينيه الثنتين فتحت عيني الببلا
الببلا. الببلا. الببلا «نور العينين» الببلا

* * *

بالببلا كنت حكيماً أَرْضَى بالمر عليماً
طمعاً في الصبر وفيما يحلو من وعد الببلا
الببلا. الببلا. الببلا ما أحلى وعدَ الببلا!

* * *

قالوا السكران العرييد! عرييد أنا بالتأكيد
أرقص، وأغني، وأجيد في ساعة «سلب الببلا»
الببلا. الببلا. الببلا غنوا في نخب الببلا

* * *

لقبي في صحبي «هِمًّا» ظلموني في اسمي ظلما
إن نادوا الببلا يوماً أغلط في اسمي والببلا
يحيا «هِمًّا» والببلا الببلا. الببلا. الببلا

هجاء

هجاء الدهر

أَبَاسْمُ تُغْنِي؟ لُعْنَتَ شَرٍّ لَعَنَ
وَإِنْ عِدَاكَ مُتْنِي خَذِ الثَّنَاءَ مِنِّي
يَا دَهْرَ وَامِضْ عَنِّي

* * *

كُنْ عَابِسًا قَطُوبًا أَوْ ضَاحِكًا طَرُوبًا
مَا أَشْبَهَ الْمُوْهُوبَا عِنْدَكَ وَالْمَسْلُوبَا
إِلَيْكَ! دَعْنِي دَعْنِي

* * *

مَا أَقْبَحَ اللَّئِيمَا! مَبْتَسَمًا كَظِيمَا
أَدْنَى إِلَيْهِ سِيمَا أَنْ يُبْتَلَى دَمِيمَا
يَعْوِي وَلَا يُغْنِي

* * *

أَمَانَحِي السَّرُورَا؟ خُذْهُ وَبَيْنَ مَدْحُورَا
لَوْ لَمْ أَكُنْ مَوْتُورَا أَشْكُو الْأَذَى الْمَقْدُورَا
مَا شَاقَنِي بِحَسَنِ

* * *

أين الجمال أينما؟ كلُّ الجمال منَّا
إن شئت لا إن شئنا فقرَّ أنت عينا
وخلَّنا في أمن!

خنزير أعجف

فيه خنزيرية ظاهرة ما نفاه عنها ذاك العجف
هو خنزير ولكن شأنه جسدٌ في وضعه منحرف

اللؤم خالد

يا عصابة اللؤم مهلاً بعضَ غيرتكم فاللؤم لا ينقضي إن لم تُجلُّوه
سيخلد اللؤم في الدهر اللئيم وإن أذله أهله - لؤماً - وملُّوه

رثاء

نصيب الحي والميت

يا صديقي لنا البكاء	ولك الموت والسلام
عندنا النور والعناء!	عندك النوم والظلام!
ليس يأسى أخو فناء	بل أخُ بعده إقام

* * *

أتبعُ الصحبَ في القبور	ببكائي، وما اهتديتُ
أنا لو دام لي الشعور	بعد موتي لما بكيْتُ
عالمٌ كله غرور	عشتُ ما عشت أو قضيتُ

* * *

هالكٌ كلُّ ما يكون	تستوي النفس والصفاء
فلمن تحصد المنون	ولمن تزرع الحياة؟
بدأت حكمة الجنون	وانتهت حكمة الهداة

رفيق الصبا^١

وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وأذن فيك الحزن أن يتغلبا
وأرعك عند الجسر إن سرت مغربا؟
ونطلب في كل الأحاديث مطلبا
على الأرض إلا كي يقول ويخطبا
وما كان إلا مازحا حين أذنبا
فأقربُ منها أن أصفح كوكبا
وجدتك رسما في التراب مغيبا
وأذريت دمعا عند قبرك صيبا

رفيق الصبى المعسول أبكيك والصبا
وأذن فيك الصبر أن لا يعينني
ألقاك عند النيل إن عدت في قنا
ونستنشد الأشعار في كل ليلة
ونحسب أن الله لم يخلق امرءا
ونحصى على الدهر البريء ذنوبه
ألقاك؟ بل هيهات قد حالت المنى
إذا عدت أستحيي الشبابين في قنا
وسألت عنك الصحب: أين مزاره؟

* * *

إلينا، وقد كان التعجب أعجا
وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
كما طوت الأسقام شيخا معذبا؟
ورب فتى في الردى فات أشيبا
على عصويه من عياء، ومن حبا
وفاجأني الناعي فأجفلت مكذبا
ولم يك إلا كاذب الظن مغربا

عجيبٌ لعمري موتٌ كلُّ محبِّب
حسين! عرفت الموت فيك غريبة
أمن هو في ذكري فتى العمر ينطوي
نعم ينطوي الشبان والشيب في الردى
وسيان في عقبى الطريقين من مشى
عهدتك في شرخ الصبى ناضر الصبى
ألا ليته لم يعرف الصدق عمره

* * *

فما يخطئ الباكي سجاياه مطنبا
وكان أمين السر والجهر طيبا
ولا يذكر الإخوان إلا تحبُّبا
وإن قصر المسعى بدنياه أو نبا

رفاق حسين أبَنوه وأطنبوا
لقد كان ميمون النقيبة صالحا
وكان عفيف القول لا يقرب الأذى
وكان على كنز القناعة آمنا

^١ رثاء الصديق «حسين الحكيم» من أدباء قنا المعروفين بالورع.

إذا استمرأت مرعى الخيانة أنفُسُ
وكان عزيز النفس في غير جفوة
وكان سميرًا يملك السمع كلُّما
أدبياً يصوغ الشعر والنثر فطرة
أليفاً وفيّاً لا يفارق صاحباً
أحبّ قنا واستعذب العيش في قنا
لئن ذكر الوافون عهد ولائه
لما ذكروا إلّا الوفيّ المهدّباً
فلم يُغْرِه عيش، وإن كان أعذباً
ولا منزلاً إلّا انثنى فتقرّباً
ويؤثر في الآداب من كان معرباً
ولا صلف منه، إذا صد أو صبا
تبرّج منها مُعرضاً وتحوّباً
تبسّط في أسماره وتشعّباً

رفاقَ حسينٍ أسهبوا فيه واذكروا
على كُتُبٍ منه اجتمعتم فليت لي
كأنّي وقد فارقتّه قبل يومه
رفيقاً له يعتاده الحزن مسهباً
مكناً من الجمع القنائيّ مكتباً
سمعت له نعيين يوم تغيّباً

إذا ما رثى المحزون إلّـف شبابـه
وودّع من عهديه في العمر قبلة
إذا جازها أودى بمختار عيشه
رثى قلبه شطراً من القلب مخصباً
أخف على الروّاد زاداً وأرحباً
ولم يبق إلّا ما اتّقى وتهيّباً

أليف الصبى لا تشكُّ في الموت وحشة
تعاقبت الأجيال تحت لوائه
وما الزمن المحضور إلّا بقية
عليك سلام الله حتى يظلّنا
فما زال ركب الموت أحفل موكباً
وإن بعدوا داراً وعهداً ومأرباً
من الزمن الماضي تلاقى لتذهباً
سلامٌ أظلّ الناس شرقاً ومغرباً

تذييل في اسم الديوان

جاءني — بعد أن نشرت مقدمة هذا الديوان في الصفحة الأدبية بالجهاد — استفهامٌ من بعض الأدباء، يسألني فيه بلهجة لا تخلو من الاعتراض: هل يحرم إذن على الشاعر المصري أن يذكر البلبل وما إليه؟ وهو سؤال لا محل له؛ لأنني لم أحرم ذكر البلبل على الشعراء المصريين، وإنما قلت: «من العجيب أنك لا تقرأ صدًى للكروان فيما ينظم الشعراء المصريون على كثرة ما يُسمع الكروان في أجوائنا المصرية من شمال وجنوب! وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهاها على قلة ما تسمع في هذه الأجواء.»

فالذي يلام عليه الشاعر أن يدع طائرًا مغردًا جميل التغريد، لا شك في وجوده وكثرته في الأجواء المصرية، ثم يجعل شعره من هذا النحو وقفًا على فصائل من الطير توجد عندنا في بقاع محدودة أو لا توجد إلا أيام الهجرة العارضة.

فالطائر المعروف باسم البلبل يقيم عندنا بين الفيوم وبني سويف ويتفرق على قلة في أنحاء الصعيد، وقلما يصل إلى القاهرة والأقاليم الشمالية.

أما الطائر الذي يقرءون عنه في الآداب الأوروبية أو الفارسية ويحسبونه «البلبل» فليس هو البلبل المصري «أولاً»، ولكنه إما أن يكون العندليب أو الهزار أو فصيلةً أخرى، وهذه الفصائل — بعدُ — مهاجرات يندر أن تنطلق بالغناء على سجيتهما أثناء الهجرة المصرية.

فمن التقليد المعيب أن نخص العنادل والبلابل بالوصف والإعجاب ونهمل الكروان وهو مقيم في جميع أجوائنا، ومنه فصائل ترود بلادنا كما يرودها غيرها، ولا يفهم من ذلك إلا أن الناظم يطرب على المحاكاة ولا يفقه لماذا يكون الطرب لغناء الأطيار؟